

رمضان الذي لا نعرفه

إبراهيم عبد العزيز



المركز الإسلامي للدراسات والبحوث

١٩٨٧

إهداء

الى رسول الله الإنسانية
محمد بن عبد الله صلى الله عليه
وسلم الذى بعثه الله هدى ورحمة
للعالمين .

رمضان يشكونا لأنفسنا !

يحكى أن ..

الأغنياء والقادرون كانوا يعدون موائد افطار للصائمين ، وكانوا يرسلون خدمهم الى الأسواق والطرق العامة قبل أذان المغرب لاجتماع الصائمين للافطار عندهم ، فكان الخدم يتوسلون الى الصائمين فاذا حدث واعتذر أحدهم عن تلبية الدعوة أرغموه وهددوه ، حتى يقبل ، فاذا تجرأ ورفض الذهاب معهم أشبعوه ضربا وحملوه بالقوة الى منزل سيدهم ليتناول طعام الافطار ، رغما عنه !

صورة ولا شك طريفة ، غير موجودة في عصرنا ، ولكنها كانت موجودة في عصر الدولة الطولونية ، أيام كان عدد السكان قليلا ، وأيام كان الأغنياء والقادرون يعرفون حق الله وحق وطنهم وبنى وطنهم عليهم ، مما لا يعرفه أغنياء القرن العشرين ، أصحاب « أرناب » عصر الانفتاح ، وأبطال .. نفسى وبعدي الطوفان .. ولسنا هنا بصدد عقد مقارنة بين مصر هذا القرن ومصر الطولونية في شهر رمضان الذى يكثر خيره وموائد طعامه متعددة الأصناف

والأشكال ، سواء في بيت غنى قادر ، أو موظف فقير ، كل بحسب قدراته وإمكاناته .

ولكن العجيب أن مصر في شهر رمضان بخاصة ، ناهيك عن باقي الشهور ، تكاد تنفرد بين بلدان العالم الاسلامي بظاهرة غريبة وهي تحويل هذا الشهر الكريم الى مسابقة في الأكل ترهق ميزانية الأسرة ، الى درجة أن زعيمنا اسلاميا هنديا هو « مولانا » شوكت علي « قد زار مصر في رمضان ١٩٣١ ورأى موائد الحافلة بصنوف الطعام ، فقال في سخرية لا ينقصها الصدق والجديّة :

ان فتات موائد المصريين كفيّل بأن يملأ بلادهم بالمساجد والمدارس والملاجيء والمستشفيات » .

فاذا كان فتات الموائد يفعل هذا فما بالك بما على الموائد ذاتها من ألوان الطعام الذي لا لزوم له ، بما ينتفى مع ما شرع الصيام له من تخفيف على المعدة وتخفيف على الجيوب التي يكاد اسرافنا في شهر رمضان يمزقها ، ان لم يكن يمزقها بالفعل ، وكأننا ننتقم من نهار بدءا من الفطور حتى الامساك عند مطلع الفجر .

ويبدو أن مصر زعيمة للعرب أيضا حتى في اسراف الطعام في رمضان ويقلدها الآخرون ، فالشاعر العراقي معروف ابن عبد الغني الكردي الشهير بـ « معروف الزصافي » (١٨٧٥ - ١٩٤٥) ، الذي يقول مبرثا نفسه من اسراف قومه على موائد رمضان ، ضمن قصيدة طويلة . .

ولكن لا أصوم صيام قوم
تكاثر في فطورهم الطعام
فان وضع النهار طووا جياعا
وقد نهـموا اذا اختلط الظلام

وقالوا يا نهار لئن تجمنا
فان الليل منك لنا انتقام
فقل للصائمين اداء فرض
الا ما هكذا فرض الصيام

وقد يتعلل البعض بان « رمضان كريم »

نعم هو كذلك ولكن ما أبعد الكرم عن السفه والاسراف ،
فما هكذا رمضان شهرا « للبطنة » ، ولنا في رسول الله أسوة
حسنة .

اسمع الى زوجته الحبيبة اليه « عائشة » رضى الله عنها ، تقول
« ما شبع الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ، حتى
فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكن كنا نؤثر على أنفسنا » .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قادر على أن يملأ بيته طعاما
من كل صنف ولون ، ولكنه القدوة ، التي نحتاج أن نتمثلها في
حاضرنا ، الذي نمر فيه بأزمة اقتصادية .

وحسنا فعلنا هذا العام اذ منعنا استيراد ياميش رمضان
وغيره من الكماليات مما يكلف ميزانية بلدنا بالعملات الصعبة ما
نحن أحوج اليه ، وقد كان يجب أن تبدأ هذه الخطوة منذ وقت
طويل ، ويجب أن تتبعها خطوات أخرى لتحديد مواضع الاسراف
في كل بنود ميزانية الدولة .

وكذلك على كل أسرة مصرية أن يحدد مواضع الاسراف في
كل بنود ميزانيتها ، ولتكن البداية من شهر رمضان الكريم .
والذي ليس مفاجوا مثلنا وان كان مفاجوا فينا ، وليس له حيلة
سوى أن يشكونا لانفسنا .

رمضان في الجاهلية والاسلام

لم يكن « رمضان » بهذا الاسم في الجاهلية الأولى مثله كسائر الشهور القمرية الأخرى ، ففي اللغة القديمة ، لغة العرب العاربة، عاد وثمود وغيرهما ، حيث كان يُلسمى « تاتل » ومعناها شخص يغترف الماء من بئر أو عين ، وهذا يدل كما يقول محمود باشا الفلكي على أن هذا الشهر كان من شهور الشتاء كما يدل عليه اسم آخر له ، هو « زاهر » وقيل في هذه التسمية أن هلاله كان يوافق مجيئه وقت ازدهار النبات عند العرب في البادية في الجاهلية الأولى ، ولا يكون الزرع مزدهرا الا اذا وجد المطر .

ثم تغيرت أسماء الشهور القمرية بفعل العرب المستعربة ، قبل الاسلام بنحو مائتي عام ، وكانت القاعدة التي وضعوا على أساسها أسماء الشهور مستمدة من واقع الظروف الاجتماعية والمناخية ، تبعا للأزمنة التي وقعت فيها هذه الشهور ، حسبما اقترح « كلاب بن مرة » من قريش ، والذي قيل انه صاحب تسميات الشهور القمرية بأسمائها الحالية ، ومنها « رمضان ».

الذى كان مجيئه وقت أن كان « بدء الحر وشدته وهو ما يسمى « الرمضاء » ، فسمى « رمضان » .

ولأن رمضان قد ارتبط في الأذهان بالصوم فقد تعددت التفسيرات لمعنى اسم « رمضان » ، متعلقة بهذا المعنى فقول

- رمض الصائم يرمض ، اذا حر جوفه من شدة العطش .
- وقيل سمي رمضان لأنه يحرق الذنوب .

وقيل لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والتفكير في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس .

وقيل أيضا « رمضان » من رمضت المكان ، يعنى احتبست لأن الصائم يحتبس عما نهى عنه ، وكل هذه التعليلات الأخيرة ، هي تفسيرات اسلامية ، لأصل تسمية رمضان بهذا الاسم رغم أن تسميته كانت موجودة قبل الاسلام وقت أن صادف زمنه بدء الحر ورمضت الأرض فقالوا رمضان ، غير أن فريقا آخر يرى أنه لا ارتباط بين رمضان واشتداد الحرارة لأن رمضان لا يثبت مجيئه في الصيف ، بل يتعاقب مجيئه في أوقات العام المختلفة في الفصول الأربعة شتاء وربيعا وخريفا غير الصيف ، وذلك لأنه من الشهور القمرية لا الشمسية ، وعلى هذا فاشتقاق اسم رمضان يكون من الرمضاء بمعنى « حر » الظما لا حر الصيف ، « وحران » في اللغة معناها ظمآن ، يستوى في ذلك أن يكون حر الظما في أى فصل من الفصول الأربعة .

وهذا التفسير لاسم رمضان يعنى اذا قبلناه أن العرب في الجاهلية قد عرفوا « الصوم » ولذلك مبحث آخر .

الصوم بين أديان الأرض وأديان السماء

من الثابت أن « الصيام » لم ترتبط فرضيته ، أو وجوده
بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يخبرنا الله سبحانه في كتابه
الكريم « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم » (*) .

وقال الرسول « صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم » .

والأمم قبلنا تشمل من نعرف أن رسلا أو أنبياء قد بعثوا
اليهم ، ومن لا نعرف أنه قد بعث اليهم ، لأن منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك كما أخبرنا الله ، ويحتمل أن
الأمم الوثنية التي عرفت الصوم قد انتقل إليها سواء من رسل
وأنبيا جاءوا اليهم ، حتى انحرفوا إلى الوثنية واحتفظوا ببعض
مظاهرها كالصيام ، أو انتقل اليهم من أمم أخرى ، أو لأنهم
توصلوا بفطرتهم إلى أهمية الصوم من الناحية الصحية .

ويذكر أن المصريين القدماء قد عرفوا الصوم في أعيادهم ،
وكان الكهنة يصومون من أسبوع إلى ستة أسابيع ، في السنة .

(*) سورة البقرة ١٨٣ .

كما كان الصينيون يصومون كثيرا من الأيام العادية ، وكان ملكهم يمتنع عن الطعام والشراب مدى سبعة وعشرون يوما استصفاً لنفسه ليخلص الى معبوده ، الوثني ، طبعاً ، وأخذ اليونانيون عادة الصوم من المصريين القدماء وكانوا يصومون عدة أيام متتالية قبل الشروع فى الحرب ، وكأنه تدريب على قوة التحمل ، اذا نشبت المعركة واشتد سعارها •

كما عرفت طائفتنا « المانوية ، والصائين » ، من عبدة الكواكب الصوم ، شكرا للقمر •

كذلك عرف الهنود الصوم ، وعرفته الديانات الأرضية ، كالبرهمية والجينية والبوذية ، كما كانت قريش تصوم يوم عاشوراء ، ليس تمثلاً باليهود ولكن لأنه قيل أن قريشا أذنبت ذنباً فى الجاهلية فعظم فى صدورهم فقبل لهم صوموا عاشوراء ، فانه يتكرر ذلك • كما عرفه أيضا العرب فى الجاهلية ، ويذكر المسعودى فى « مروج الذهب » ، أن خالد بن سنان العيسى كان يأمر قومه بدين غير دين الوثنية فيأمرهم بالصوم والصلاة ، كما كان عمران بن عامر من العرب ، كاهنا أدنيا ، يكثر من الصوم ويأمر به قومه قائلا « انه ضرورى لنور النفس » ، وكان عند صومه يعتزل الناس •

واذا كانت الأمم الوثنية قد عرفت الصوم ، فان الأمم التى « خلا فيها نذير » ، رسولا أو نبيا ، أو كانت قريية عهد بديانة سماوية ، هى أولى بأن تعرف للصيام مكانته وقدره •

ويذكر أن أول من صام رمضان هو نوح عليه السلام بعد أن أنجاه الله والمؤمنون معه ، بالسفينة ، من الطوفان الذى أهلك القوم الكافرين •

كما كان إبراهيم أبو الأنبياء ، يصوم ، تبعاً لدينه الحنيف ، كما يستدل على ذلك من قوله فيما ذكره الله عنه في كتابه الحكيم « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقئ » (١) ، فقد كان خليل الله يصوم عن الطعام والشراب ساعات كثيرة فى اليوم والليلة ، وكان ذلك يتكرر منه كل شهر .

وقد ثبت أن نبي الله داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

كذلك فرض الصيام على اليهود ، فى اليوم العاشر من الشهر السابع واليوم التاسع من الشهر الثامن فى السنة ، ولكنهم يعتقدون أنه لم يفرض عليهم من الصيام الا صيام عاشوراء ، الذى قيل أنهم يصومونه أحياءاً لذكرى نجاة نبيهم موسى ومن معه ، من فرعون وعمله ، ويعتقدون أنه لم يفرض عليهم من الصيام الا هذا اليوم فقط ، والذى تقول رواية أخرى فى سبب صوم اليهود ، له انه احياء لذكرى العفو عن خطيئة اجدادهم الذين عبدوا العجل الذهبى ، والى خطيئتهم يشير القرآن « واذا وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » (٢) .

وكما يفهم من الآيات السابقة أن موسى صام أربعين يوماً متتابعة عندما أراد مكالمته ربه ، وكان يصوم قبل هذا أياماً مختلفة من كل شهر .

وعند النصارى ورد أن نبي الله عيسى صام أربعين يوماً متتابعة قبل بدء رسالته .

(١) سورة الشعراء ٠٠ الآية ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) سورة البقرة ٠٠ الآية ٥٦ ، ٥٧ .

وبعد أن بعث الله عيسى رسولا الى قومه ، فرض الله عليهم صيام شهر ، ولكنهم غيروا كما غيروا فى الانجيل ، وزادوا الشهر الى الربيع ، فعن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كان على النصارى صوم شهر ، فمرض ملك منهم ، فقالوا لئن شفاه الله لنزيدن عشرة ، ثم كان ملك آخر فاكل لحما فأوجع فاه ، فقالوا لئن شفاه الله لنزيدن سبعة ، ثم كان ملك آخر فقالوا لنتمن السبعة أيام (أى الى عشرة) ونجعل صومنا فى الربيع ، فصارت خمسين يوما » .

ولكن هل كان صيام الأمم السابقة كصيام الأمة الاسلامية، أم اختلف فى نوعه وطبيعته ؟

أنواع الصيام

إذا عرفنا أن معنى « الصيام » فى « اللفظة » هو « مطلق الامتناع والامسك » سواء عن الطعام والشراب والجماع ، أو العمل أو الكلام .

لا تضح لنا أنواع الصيام وطبيعته ، فالصيام عن الكلام عرفته الديانة اليهودية ، فيما يرويه القرآن عن السيدة مريم فبها أمرت به « فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » (١) .

واكتفت السيدة مريم « بالاشارة » فى تفاهيها مع قومها فليس من كلام يفيد فى حالتها وهى تحمل عيسى الذى أنجبته دون أب ، فكان كلامه فى المهد ، اعلانا ببراءتها من أى سوء ظنه بها قومها ، فيقول الله فى كتابه الحكيم :

« فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا »
يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا « فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ، قال اتى عبد الله .. » (٢) .

(١) سورة مريم .. الآية ٢٦ .

(٢) سورة مريم .. الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

وكان صيام مريم على الشريعة اليهودية التي كانت عليها هي وقومها قبل مبعث عيسى بالرسالة المسيحية ، وذكرت بعض الروايات أن اليهود كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، وعن ابن اسحاق عن حارثة قال « كنت عند عبد الله ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك ؟ قال أصحابه : حلف أن لا يكلم الناس اليوم .. فقال ابن مسعود : كلم الناس وسلم عليهم ، فان تلك امرأة - يقصد السيدة مريم - علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ليكون عذرا لها اذا سئلت » كما ذكر أنه في عهد الرسول وكان يخطب الناس فرأى رجلا واقفا في الشمس من دون المستمعين ولما سأل عنه قيل له هذا أبو إسرائيل يؤدي صومه واقفا في الشمس .

كما أن الصوم عن الكلام موجود بالمسيحية ، قررته طائفة الكاثوليك واعتبرته فرضا على رجال الدين في بعض الأحوال ومستحبا لمن عداهم .

وكانت فرقة « الترابيست » من أشد فرق الكاثوليك التزاما بهذا النوع من الصوم ، حتى لقد فرضته على أتباعها مدى الحياة، فكانوا يعتزلون العالم في مهاجر يقيمون فيها صائمين صامتين عن الكلام حتى الموت ، وكما يذكر د^ر عبد الله وافي في بحثه القيم عن الصيام بين الاسلام ومختلف الشرائع ، فان هذه الفرقة أنشئت حوالي القرن الثاني عشر وظلت قائمة حتى القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد عرف العرب في جاهليتهم هذا النوع من الصوم ومارسوه ، وكان يطلق عليه عندهم اسم « الضرس » - بفتح الضاد

وسكون الراء - ويعنى فى اللفه ، صمت يوم الى الليل ، وقد ظلت بعض عشائر العرب محافظة على هذا النوع من الصوم حتى بعد الاسلام .

ويروى أن أبا بكر الصديق دخل على امرأة اسمها زينب ، من عشائر « الحمس » ، فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمتة - أى حجت وهى صائمة عن الكلام ولم تنته بعد مدة صيامها - فقال لها أبو بكر : تكلمى فان هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية » ، فتكلمت .

وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم صيام الصمت عن الكلام طول اليوم حتى الليل ، فيقول « لا صمات يوم الى الليل » .

وغير صيام الصمت ، هناك نوع آخر من الصيام هو «الصيام عن العمل » ، وهو ان وجد فى اديان ارضية بشرية غير سماوية كالبرهمية والجينية والبوذية ، فانه أيضا مقرر فى الشريعة اليهودية .

حيث حرم على اليهود العمل يوم السبت ، ويؤكد القرآن ذلك فيما رواه عن عصيانهم فى هذا اليوم وقيامهم بالعمل والصيد فعاقبهم بأن أصبحوا مثل القرود فى سلوكهم وتصرفاتهم ، فيقول الله مخاطبا اليهود « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » (١) والسبب الذى من أجله حرم العمل على اليهود فى يوم السبت ، يرجع فى زعمهم الى أن الله تعالى قد خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت ، فوجب عليهم أن يكونوا مثل الرب فلا يعملون فى هذا اليوم ، ولكن القرآن يكذب هذا الادعاء فيقول

(١) سورة البقرة ٥٠ الآية ٦٥ .

« ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » (١) ، أى لم يمسننا تعب حتى نحتاج الى راحة .
كما يتضمن صيام اليهود في اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى وهو الشهر الأول من شهور سنتهم المدنية ، الامتناع عن معظم الأعمال ، ويسمى اليهود هذا اليوم الذى يصومونه ، يوم « كبور » ، يعنى يوم الكفارة ، عن عبادتهم للعجل الذهبى أثناء غياب موسى عنهم لتلقى الألواح من ربه .

ورغم أنه لا يوجد نص فى تحريم العمل يوم الجمعة ، الذى يعتبر عادة يوم أجازة وراحة للمسلمين تميزا لهم عن اليهود في يوم سبتهم ، وعن النصارى في يوم الأحد ، فإن القرآن الكريم يأمر المسلمين بأن يدعوا أعمالهم وقت صلاة الجمعة بحيث لا يتخلف أحد منهم عن صلاة هذا الفرض الذى لا يصلح الا في جماعة ، فيقول الله في كتابه الكريم « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٢) .

« وذروا البيع » أى اتركوا البيع ، وما دام ليس هناك بيع فبالتالى ليس هناك شراء ، وقد اتفق العلماء على تحريم البيع بعد الأذان الثانى لصلاة الجمعة والذى تبدأ بعده خطبة الجمعة .

هذا وقد اعتاد المسلمون بالاضافة الى صيامهم في رمضان ، أن يكونوا في شبه صوم عن العمل ، خاصة في مصر التى دأبت على تقصير أوقات العمل في شهر رمضان رغبة في التخفيف عن الصائمين واتاحة السبل أمامهم للتعيد وقضاء لوازمهم المنزلية . ويرجع هذا التقليد الى العصر الطولوني ، فقد حدث أن زار

(١) سورة ق ٠٠ الآية ٢٨ .

(٢) سورة الجمعة ٠٠ الآية ٩ .

أحمد بن طولون مسجده وقت بنائه - وكان ذلك في رمضان -
فرأى الصناع يعملون الى وقت الغروب ، فقال : متى يشتري
هؤلاء الضعفاء ، فطارا لعيالهم ؟ ، وأمر أن يتركوا العمل وقت
العصر ، ولما انتهى شهر رمضان قيل له : هل سيرجعون الى العمل
حتى الغروب ؟ فقال : لقد بلغني دعاؤهم وقد تبركت ، اصرفوهم
عصرا ، فصارت سنة في مصر من بعده .

وتشير كل الدلائل الى أن حجم الانتاج يكون أقل من معدله
الطبيعى فى شهر رمضان فى الوقت الذى يزيد فيه الاستهلاك ،
رغم أن العكس كان يجب أن يكون .

وبالعودة الى أنواع الصيام غير صيام الكلام وصيام العمل ،
نجد الصيام عن الطعام والشراب ، وهذا هو الشائع ، ولكنه يختلف
من أمة الى أمة .

فعند المسيحيين مثلا يقتضى بعض أنواع صيامهم ، الامتناع
عن بعض أنواع المأكولات والمشروبات دون بعضها الآخر ، فيصومون
فقط عن الحيوانات البرية وما يستخرج منها ، وبعض صيامهم
يقتضى منهم الامتناع عن تناول لحوم الحيوانات البحرية وما
يستخرج منها إضافة الى لحوم الحيوانات البرية وما يستخرج
منها .

ومن أنواع صيام المسيحيين أيضا ما يقتضى الامساك عن
المفطرات نهار اليوم وليله .

ومن الصيام الامتناع عن المأكولات والمشروبات والجماع من
طلوع الشمس الى غروبها كصيام البوذيين والصائبة والمناويين .
أو صيام يوم واحد أو ليلة واحدة أو جزء من يوم وليلة
كصيام اليهود .

أو الصيام الليلي الذى يبدأ بعد صلاة العشاء الى غروب
شمس اليوم التالى ، كما كان يفعل المسلمون فى بدء صيامهم ،
ولذلك حديث آخر .

تدرج الصوم فى الاسلام

عندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون معه ، الى المدينة ، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فلما سأل عن السبب قيل له : ان هذا يوم صالح ، نجى الله بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، ولأن دين الاسلام يؤمن بكل الرسل ومنهم موسى فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، انه أحق بموسى من اليهود ، فصام ذلك اليوم وأمر المسلمين بصيامه ، مع زيادة يوم هو التاسع ، فيكون صيام تاسوعاء وعاشوراء ، مخالفة من المسلمين لليهود حتى لا يكونون مثلهم ، مثلما حدث وتغيرت القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام ، ومثلما حدث وشرع الأذان للصلاة مخالفة للنصارى بعد أن كاد المسلمون يستعملون الناقوس للاعلام عن الصلاة •

وليس مخالفة الاسلام لما سبقه من أديان فى العبادات ، طقوسها وشعائرها ، مخالفة عناد بقدر ما هي مخالفة تدريب وتعليم للمسلمين ألا يكونوا امعة ، كما علمهم رسولهم وأمرهم ، أن يحسنوا اذا أحسن الناس وأن يتجنبوا اساءتهم اذا أساءوا •

ولا يحسنون اذا احسن الناس فقط بل يزيدون في
الاحسان حسنا ولاننا بصدد الحديث عن الصوم ، فان الرسول
لما صام وأمر المسلمين أن يصوموا يوم عاشوراء الذي يصومه اليهود
احتفالا بذكرى نجات موسى وقومه من فرعون وعمله ، وزاد على
ذلك اليوم ، يوما آخر يصومه المسلمون .

واذا كان الصوم عن الكلام قد عرفته الشريعتين المسيحية
واليهودية ، فان الاسلام وان لم يعرف الصوم عن الكلام وان كان
قد حرمه اذا استمر الى الليل ، فان الرسول قد حجب صوم
الصمت وحث عليه ان كان الكلام سيجر شرا ويؤدي الى فساد ،
فقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليصمت » ، وليس الصمت الذي يدعو اليه الرسول ،
هو صوم الصم البكم الذين لا يعقلون ، بل هو صمت الفكر والتدبر
والتأمل ، وقد امتدح الله أصحاب العقول الذين يكون صمتهم فكرا
فقال سبحانه :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والأرض » (١) .

اذن فحتى صوم الصمت عن الكلام جعله الاسلام صوم
عبادة .

وأما الصوم عن العمل والذي رأيناه عند اليهود يوم السبت،
فان الاسلام لم يعترف بالصيام عن العمل الا وقت صلاة الجمعة
والا بالقدر الذي لا يؤخر صلاة عن وقتها ، وجعل الاسلام العمل
عبادة من العبادات التي يتعبد بها الى الله .
وكذلك الاسلام دين تصحيح واستكمال فيما يتصل بكل
جوانب الحياة والعبادة ، مما لا يوجد في الأديان والأمم
السابقة .

(١) سورة آل عمران ٠٠ الآية ١٩١ .

والدليل على أن الاسلام لا يخالف الأديان السابقة لمجرد المخالفة ، هو أنه قد أقر الجسد والحسن من أخلاق الجاهلية رغم أنها جاهلية ، فلم ينكر كرم الضيافة ، ولا نجدة الملهوف ، ولا حلف نصرة المظلوم ، بل أكد هذه الأخلاق المحمودة .

فإذا جاء الاسلام يفرض الصوم ، فهو يفرض عبادة عرفتتها أهم سابقة ، ولأنه الدين الذى لا دين بعده فهو حينما يشرع لفريضة فإن التدرج أساس من قواعد التشريع الاسلامى لتهيئة النفوس لاستقبال عبادة من العبادات ، حتى اذا أحست النفس لها حلاوة واطمأنت بها ، أكمل الله كل الأسس والقواعد التى تحكم العبادة التى شرعها ، وهى هنا فى هذا المقام ، الصيام الذى بدأ بصوم عاشوراء وتاسوعاء كما بينا فى بدء هذا الحديث ، كما بدأ الصوم أيضا فى الاسلام ، بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، حتى اذا كانت السنة الثانية من هجرة الرسول الى المدينة نزل أمر الله قرآنا بالصيام فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معهودات » (١) .

ولكن هذا الصوم الذى فرضه الله كان « فرض تخيير » من شاء صامه ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه ، وذلك ما يوضحه القرآن :

« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرا له وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » (٢) .

ثم انتقل « صوم التخير » الى « صوم الفرض » مخصصا

(١) سورة البقرة ٠٠ الآية ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة ٠٠ الآية ١٨٤ .

ومحددا ومبيناً فيه من يحق له بعذر أن يفطر ليقضى بعدها صوما
بعدد الأيام التي أفطر فيها ، بعد أن يزول العذر ، فيقول الحق :
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان
مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ولتكملوا العدة وتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون » (١) •

فقد حدد الله ، شهر رمضان ، شهرا للصيام ، ولكن لماذا
شهر رمضان بالذات دون غيره من الشهور ؟ •

مع أنه من المسلم به أن الله سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون ، فانه جل علاه لم يحرم الاجتهاد ، بل أعلى شأن العقل
وميز به الانسان على سائر مخلوقاته ، وجعل أول آياته العلم
قراءة وكتابة حين شرف القراءة وشرف القلم الذي يكتب به ، وذلك
فى أول آيات أوحى بها الخالق الأعظم الى خاتم رسله حيث يقول :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ
وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (٢) •

فعلم الله الانسان ما لم يكن يعلم وذكر فى قرآنه الحكمة من
أشياء وسكت عن ذكر الحكمة فى أشياء أخرى قد يكشف عنها
العلم الذى ييسر الله كشفه للانسان كلما أعمل عقله وفكر وتأمل
وبحث واستكشف ، ومن الأشياء التى ذكر لنا الحق الحكمة فيها ،
اختيار شهر رمضان ، موعدا يلتقى فيه المسلمون معه من كل عام
لأداء احدى الفرائض الخمس التى كتبها الله على المسلمين ، تقربا
وعبادة ودواما للاتصال به ، فهو شهر أنزل الله فيه القرآن ، جملة

(١) سورة البقرة - الآية ١٨٥ •

(٢) سورة العلق ٠٠ الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ •

الى السماء الدنيا ، وتتابع نزوله على مدى ثلاث وعشرين سنة تبعا للمواقف والأحداث التي مرت بها الدعوة الاسلامية ، وليس القرآن وحده هو الذى شرف به رمضان بل ان صحف ابراهيم وتوراة موسى وزابور داود وانجيل عيسى قد شرف رمضان بنزولها فيه ، طبعا مع اختلاف اسم رمضان من زمن الى زمن كما بينا ذلك فى موضع آخر .

وقد يكون لاختيار الله لرمضان شهرا للصوم حكمة أخرى اختص بها علمه غير ما علمنا به من قرآنه وأحاديث رسوله ، تماما كما لم يعلم الناس فى عصور سابقة تفاصيل أسرار حكمة الصوم نفسها والتي بسطها لنا الطب الحديث (مما سنوضحه فى مكان آخر) وشاء الله لنا أن نعلمها زيادة يقين فى أن الله ما فرض شيئا الا وفيه الخير كل الخير لعباده المؤمنين ، وليس معنى هذا أننا كنا نشك فى هذه الحقيقة ولكن نقول كما قال خليل الله لربه عندما سأل ردا على قوله :

« رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بل ولكن ليغتمن قلبى » (١) .

وقد اطمأنت قلوب المسلمين الأوائل ايمانا وتسليما لله الذى أراد الله بهم وبنا اليسر لا العسر ، ولكن الملاحظ فى تدرج عملية فرض الصوم أنه بدأ اختياريا من شاء صامه ومن شاء أفطره واطعم مسكينا ولا شئ عليه ، ثم نزل القرآن قاطعا بصيام شهر رمضان وكانت فترة الافطار ومقاربة النساء محدودة من آذان المغرب الى آذان العشاء ، فمن تخير الى فرض وتحديد ، فهل قصد الله من ذلك أن يضيق على المسلمين بعد أن كان قد وسع عليهم ، خاصة وأن الله فى آياته أوضح أنه كان يعلم أن ذلك لن يطيقه المسلمون

(١) سورة البقرة ٠٠ الآية ٢٦٠ .

وإن أحد الأنصار سيقع مغشيا عليه بعد أن فاتته الإفطار حتى نام ومرت صلاة العشاء ولن يستطيع أن يأكل إلا مغرب اليوم التالي حسب قواعد الصوم الأولى التي فرضها الله ، بل إن عمر بن الخطاب نفسه الذي كان القرآن ينزل مصدقا لبعض آرائه ، قد اختان نفسه وجامع امرأته في الوقت المحظور ، فلماذا لم يبع الله المفطرات من آذان المغرب إلى آذان الفجر كما نزلت الآيات بعد ذلك ، خاصة وأن التخيير في بداية الصوم كان يجب أن يتبعه هذا التخفيف الأخير ؟

إن الله أراد أن يدرّب الفئة الأولى المسلمة في مجال العبادة وهي هنا الصوم ، تدريبا عمليا لما سوف يلاقونه خلال مسيرة الدعوة الإسلامية ، فهم وإن استراحوا في المدينة عن مكة وأصبح لهم من الأنصار أخوانا وأعوانا ، فإن هذا اليسر وتلك السعة لا دوام لهما ، فهم وإن كانوا سينصرون في بدر ، فسوف ينهزمون في أحد ، وإن كانوا سيوقفون زحف قريش والأحزاب المتحالفة معها بحفر الخندق فسوف يتعرضون لغدر اليهود في الداخل بجانب الحصار من الخارج ، ثم بعد الضيق يأتي الفرج وبعد العسر يأتي اليسر ، ليلمس المسلمون فضل الله عليهم ويكونوا موصولين به فلا تضعف صلتهم به بعد نصر أو فتح ، فتأتي هزيمة أو شدة تجعلهم يعتصمون بحبل الله المتين فيكونون دائما في ظل فضل الله ، يحمدونه أن جعل لهم بعد العسر يسرا وبعد الهزيمة نصرا وبعد الضيق فرجا ، ويتذكرون ماذا سيكون حالهم لو امتدت بهم هزيمة أكثر مما امتدت أو طال بهم عسر أكثر مما طال ، فيسجدون لله شكرا وامتنانا .

وكذلك كانت فريضة الصيام يسرا بالاختيار ، ثم عسرا بالفرض تضيقا للزمن المباح فيه المفطرات حتى صلاة العشاء ، ثم يسرا بتوسيع الزمن حتى مطلع الفجر ، ليعلم المسلمون علم

يقين قائم بالتجربة والدليل أن الله أراد بهم اليسر حقا ولم يرد بهم العسر ، وليعلم كل من أراد أن يشهد على نفسه أنه لن يقدر، مثلما حاول هؤلاء الرهط في عهد الرسول أن يلتزموا نظاما في العبادة يشق عليهم فعزم أحدهم على أن يقوم الليل كله متعبدا لا ينام ، وعزم آخر على أن يصوم الدهر كله فلا يفطر يوما ، وعزم ثالث ألا يقرب النساء ولا يتزوج أبدا تقربا إلى الله ، وكان هؤلاء المسلمون يريدون بذلك أن يدركوا مكانة الرسول عند ربه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر مبررين بذلك في زعمهم قلة عبادة الرسول عندما أخبروا بها ، فلما علم الرسول بأمرهم أنبهم إلى حد التبرأ منهم أن لم يقلعوا عن تشددهم وقال « أما أنى أتقاكم لله وأخشاكم له ولكنى أصلي وأرقد وأصوم وأفطر واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وهؤلاء القوم الذين شددوا على أنفسهم وعدوا عبادة الرسول قليلة قياسا إلى ما كانوا يتصورون ثم أقنعوا أنفسهم بأن الرسول له عذره في ذلك وقد أخبره ربه ووعدته وعدا لا رجعة فيه :

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » (١) .

هؤلاء القوم يبدو أنهم لم يعلموا أن الرسول لم يستغل وعد ربه له بأن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، واتكل على هذا الوعد الذي لا رجعة فيه ، ونسى حقوق ربه عليه ، بل أن هذا الوعد الإلهي لرسوله كان أدعى لمزيد من العبادة والشكر لدرجة أن ابن مسعود كان يصلي مع النبي وحده فلم يطق وكاد أن يجلس من طول قيام الرسول وهو يحكى عن ذلك فيقول :

« صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فاطال القيام حتى

(١) سورة الفتح ٠٠ الآية ١ ، ٢ .

هممت بأمر سوء ، قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن اجلس
وأدعه » •

بل ان عائشة زوجة النبي الأثيرة لديه قد تعجبت من اغراق
الرسول في عبادته وقالت له ما قاله الرهط الذين أرادوا التشديد
على أنفسهم :

تقول عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا
يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ •
قال : أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا » •

وهكذا عندما يرى المسلمون أن الله قد خفف عنهم ويسر لهم
أمر عباداتهم فجعل فرض الصلاة من خمسين فرضا الى خمسة
فروض ، وجعل الحج لمن استطاع اليه سبيلا ، وجعل الصيام لمن
استطاعه صحيحا سليما مقيما بالغا ، وأمد المباحات حتى طلوع
الفجر من رمضان وجعل من يأكل أو يشربه ناسيا لا شيء عليه
وليتم صومه •

عندما يرى المسلمون ذلك التيسير ، ألا يكون ذلك أدهى
لمزيد من شكر الله صلاة أكثر مما افترضه سننا ونوافل ، وصياما
أكثر مما افترضه ، كل يومى اثنين وخميس أو ثلاثة من كل شهر
أو حسبما تيسر لكل مسلم ، وهو شكر عبادة له أجره وثوابه
الذى لا يضيع ، ومن اكتفى بما فرضه الله عليه فحسبه ذلك
وكفى •

ولكن هناك من يشددون على أنفسهم ، حتى يندمون يوم
لا ينفع الندم كما فعل عبد الله بن عمرو الذى يحكى للمتشددين
من بعده قصته ليعتبر بها كل متطرف مبالغ متشدد فى أمور الدين
فى كل عصر •

يقول عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أقول : « لأقوم من الليل ولأصوم من النهار ، ما عشت » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنت الذى تقول ذلك ؟ قلت : قد قلته يا رسول الله ، فقال : انك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر » ، قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال صم يوما وأفطر يومين » ، قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله قال صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام » ، قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال : لا أفضل من ذلك » .

وذلك حتى يقطع الرسول على عبد الله تماديه فى التشديد على نفسه ، وقال له ان صيام يوم وأفطار يوم أفضل من صيام كل الأيام ، حتى يكون ذلك وسيلة للقعدة على الدوام ، « وأفضل العبادة الى الله تعالى أدومها وان قلت » ، ولذلك ندم عبد الله ابن عمرو بعد أن كبرت سنه وضعف عن دوام العبادة التى تمسك بأدائها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال « لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام - صياما من كل شهر - التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من أهلى ومالى » فندم لأنه لم يقبل ارشاد النبى ولم يسر فى عبادته على هذه الرخصة السهلة التى يمكنه الدوام عليها ، ولكنه لم يرض لنفسه أن يترك عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم انه يطيقها ، ولذلك ورد أنه كان يفطر أياما حتى يقوى ، ثم يصوم ما فاته .

ولهذا أكد الرسول على ضرورة الأخذ برخصة الله فى العبادة لأن الله أدرى بعباده منهم حينما أباح لهم ما أباح من تيسير لذا قال صلى الله عليه وسلم « عليكم برخصة الله التى رخص لكم » ، وأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه .

وبلغ من تيسيرات الله أن من أفطر لعذر في رمضان ، ليس عليه أن يقضى ما أفطر من أيام الا حين يزول العذر وألا يصوم عند القدرة أياما متتابة كما في رمضان ، فان شاء فرق وان شاء تابع .

وعلى المسلم أن يختار الأيسر لأنه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ان خير دينكم أيسره » ان خير دينكم أيسره » وهذا الأيسر الذى اتسم به الاسلام هو خير يسر وضعه الله فى دين من يأخذوا بالعزم ويدربوا أنفسهم ، منذ نعومة أظفارهم على العبادة حتى يالفوها اذا ما كبروا ولا تشق عليهم فيفاجأون حين يبلغون التكليف بالقيام بأعبائها فينفرون منها .

صحيح أن الصبيان غير مكلفين بصيام الا حين يبلغون سن التكليف ، ولكن الاسلام أباح تدريبهم عليه ، مما يدل عليه ما روته الصحابة الأنصارية الربيع (بضم الراء وفتح الباء) بنت معوذ رضى الله عنها قالت : أرسل النبى صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الأنصار : من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، ومن أصبح صائما فليصم » ، قالت : فكنا نصومه بعد ، ونصوم (بضم النون وفتح الصاد) صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن - الصوف - فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك ، حتى يحين موعد الافطار ، فمباح تعويد الأطفال على الصيام وشغلهم عن الطعام بأية وسيلة مسلية من لعبة أو غيرها ، حتى يحين موعد الافطار ، وقياسا على الصوم ، يكون تدريب الأطفال على الصلاة باصطحابهم الى المسجد ، والصلاة أمامهم ، لينشأ الأطفال على حب العبادة ويستمتعوا بحلاوة الايمان حين يكبرون .

الصيام فى الطب

بقدر ما قد يكون فى الصيام من مشقة ، بقدر ما فيه من صحة
أجمع عليها الأطباء المسلمون والأجانب من يؤمنون بدين أو
لا يعرفون غير العلم ديننا والها •

وفى سيرة الرسول وسنته اشارات ودلائل ، تشير عجبنا وتثير
اعجابنا •

أنظر اليه صلى الله عليه وسلم يقبل هدية المقوقس حاكم
مصر ، ردا على رسالته اليه التى يدعو فيه وقومه الى الاسلام •
ولكنه صلى الله عليه وسلم يرد من هدية المقوقس ، الطبيب •
موضحا له انه لا يردده رغبة عنه بل لأنه لا حاجة به اليه « لأننا
قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » ، ولذلك لا نمرض •
فذلك هو الدستور الطبى الذى وضعه الرسول حينما قال :
« جوعوا تصحوا » •

وجوعوا بمعنى لا تملأوا بطونكم لأنه كما قال عليه السلام
« ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات

يقمن صلبه فان كان ولا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه » .

فقد حدد صلى الله عليه وسلم المقدار الذى يجب أن نتناوله
هو « ثلث لطعامك وثلث لشرابك ، وثلث لنفسك ، لأن اشغال
المعدة بالطعام يسبب كثيرا من الأمراض كما قال طبيب العرب
« حارثة بن كلدة » - « المعدة بيت الداء » .

ولذلك قال بعض الحكماء « الدواء الذى لا داء معه ألا تأكل
الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه » .

ولكن لأن الانسان فى أغلب الأحوال أسير شهواته ، فقد
فرض الله الصوم لكسر هذه الشهوات ، سواء كانت شهوات
النفس الأمارة بالسوء ، أو الشهوات التى تأتى من وساوس
الشیطان .

- فالصيام علاج للشباب الذى لم يتزوج ، أو لا يستطيع
الزواج ، من الانحراف .

يقول صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب : من استطاع
منكم الباءة - امتلاك مؤونة الزواج - فليتزوج ، ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فإنه له وجاء - وقاية - » .

وكيف تكون الوقاية من الشهوات الجنسية بالصوم ؟

يوضح الرسول ذلك بقوله « عليكم بالصوم فإنه محسمة
للعروق ومذهبة للأشر » ، فإن الصوم حسم للداء بالقضاء عليه بما
يزيله ، لأنه يقلل الدم فى العروق ، ومن كثرة الدم فيها تثار
الشهوة على الانسان لذا كان الصوم يخفف المنى ويكسر الشهوة
التي تذهب البطر .

كما أن الصوم تضيق لمسالك الشيطان ، فيقول عليه السلام
« ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع » .

واذن يكون للصوم فوائد صحية ، لأنه يجفف العروق
وينظف الأمعاء ، فيمنع ضغط الدم عن قوم ، ويصلح المعدة
لآخرين ، فهو علاج لارتباك المعدة والتهاب القرحة ، وكسل الكبد،
ومرض السكر ، كما أن الصوم علاج لمرضى السمينة لأنه يمنعهم
فى نهار رمضان عن تناول النشويات ، وعلاج لمرضى البول السكرى،
والاضطرابات الهرمونية .

يقول د* عبد العزيز اسماعيل « ان الصيام يستعمل طبيا
فى حالات كثيرة ، ووقائيا فى حالات أكثر ، وان كثيرا من الاوامر
الدينية لم تظهر حكمتها ، وستظهر مع تقدم العلوم ، فلقد ظهر
أن الصيام يفيد طبيا فى حالات كثيرة وهو العلاج الوحيد فى أحيان
أخرى .

فـللـعـلاج * * يستعمل فى اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة
بتخمر ، ويستعمل فى - علاج - زيادة الوزن الناشئة من كثرة
الغذاء ، وكذلك فى - علاج - زيادة الضغط .

أما فى البول السكرى فلما كان ظهوره يكون مصحوبا
غالبا بزيادة فى الوزن ، فالصوم يكون بذلك علاجاً نافعا ، ولايزال
الصيام مع بعض ملاحظات فى الغذاء أهم علاج لهذا المرض ،
والصوم يعتبر علاجاً لالتهاب الكلى الحاد والمزمن ، وأمراض
القلب .

كذلك فان الصوم يساعد على مقاومة الأمراض الجلدية .
والمحافظة على نضارة الجلد وجماله .

رمضان الذى لا نعرفه - ٢٣

يقول د. محمد الظواهري « ان علاقة التغذية بالأمراض الجلدية متينة » .

والامتناع عن الغذاء والشراب مدة ما ، يقلل من الماء في الجسم والدم وهذا بدوره يدعو الى قلته في الجلد ، وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المؤذية الميكروبية .

وقلة الماء من الجلد تقلل أيضا من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة والمنتشرة بمساحات كبيرة في الجسم » .

وقد كان من المعتقد أن صوم رمضان يقلل من عمر كرات الدم الحمراء ولكن الدراسات العلمية أخيرا أثبتت عن عدم وجود آثار سيئة لصوم رمضان على عمر كرات الدم الحمراء .

كما أثبتت الدراسات العلمية أن الحامل والمرضع ممن لهن القدرة على الصيام ، لا تتأثر نسبة السكر في الدم تأثرا ملحوظا مقارنة بالمرأة العادية ، كما وجد أن نسبة الدهون نتيجة الصيام ، قد ارتفعت في المرأة الحامل ولكن في حدود المعدل الطبيعي ، ومن هنا يقرر الطب الا ضرر على الحامل والمرضع من الصوم في شهر رمضان ، كما أن الصوم علاج للمدمنى المكيفات يشهد عزيمتهم للاقلاع عنها بعد رمضان .

ورغم أننا كمسلمين لسنا في حاجة الى شهادات تؤكد صدق إيماننا ، الا أن اقتناع غير المسلمين بأن ما نحن عليه هو الصواب يزيدنا يقينا بأن الاسلام حق ويزيدنا اقتناعا بأنه لا شيء من أمور عبادتنا ، بحيث لا غناء وراءه ، وإن كانت الجدوى كل الجدوى في أن الله قد أمر وعلينا أن ننفذ أمره ، وإلى المستهترين بفرضية الصوم رغم قدرتهم عليه ، أسوق هذه الشهادة لضعاف الإيمان :

من طبيب أمريكي اسمه ماك فاردين ، لعل فيما عدده من فوائد الصوم يكون مقنعا لبعض من لديهم عقدة الخواجة ، فلا يفعلون شيئا الا اذا كانت عليه ماركة « مستورد من الخارج » فماذا قال الطبيب الأمريكي عن الصوم ؟

ان كل انسان يحتاج الى الصيام وان لم يكن مريضا ، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض فتثقله وتقلل نشاطه ، فاذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه بعد أن كانت مجتمعته ، فتذهب عنه حتى يصفو صفاء تاما ويستطيع أن يسترد وزنه ويجدد جسمه في مدة لا تزيد على العشرين يوما بعد الافطار ، ولكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل » .

وآخر ما حملته الأنباء عن الاقريين الذين يعيشون في أزمات المجاعة ، أن كميات الطعام المحدودة التي تصرف لهم قد ساعدت على اكتسابهم صحة جيدة وقللت نسبة الوفيات بينهم ، وأنهم لو استمروا على هذا النظام من تناول كميات قليلة من الطعام فإن ذلك سيققل من الأمراض المنتشرة بينهم .

ويقول د . اليكسيس كارايل « ان كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرته تعطل وظيفة أدت دورا عظيما في بقاء الأجناس البشرية ، وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام ، ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم في بعض الأوقات » .

وحتى لا يحرم الاسلام ، أتباعه من كل هذه الفوائد الصحية للصوم ، الى جانب كونه أساسا عبادة وتقربا الى الله ، فإن الصوم لم يكن فقط مقصورا على شهر رمضان ولكنه ممتد طوال شهور السنة لمن أراد أن يصوم تطوعا .

● سنا من شوال ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر » .

● تاسوعاء وعاشوراء لقوله صلى الله عليه وسلم « وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » وقال « اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع » .

● يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم « صوم يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين ماضية ومستقبلة » .

● الاثنين والخميس لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم » .

● الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، من كل شهر ، لقوله صلى الله عليه وسلم « هي كصوم الدهر » .

● النصف الأول من شعبان ، والصيام في شهر المحرم والعشر الأول من ذى الحجة ، وصيام يوم وافتار يوم » .

وما كل سنن الصيام هذه طوال العام الا اتاحة للفرصة أمام كل مسلم ليعالج نفسه بنفسه روحيا وصحيا .

هلال رمضان

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ، فنزلت هذه الآية « **يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس** » (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم « جعل الله الأهلة مواقيت للناس ، فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما » •

وكان الرسول اذا رأى الهلال قال : اللهم أهله علينا بالآمن والإيمان والسعة والسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير •
وورد أن الرسول ذات يوم حينما رأى هلال رمضان قال :
مرحبا بالمطهر •• كررها ثلاثا ، فلما سئل : وما المطهر يا رسول الله ؟ قال : شهر رمضان ، فانه يطهرنا من المعاصي والذنوب •

ويحتفل المسلمون على مر العصور باستقبال هلال رمضان ، فيما يعرف بموكب الرؤية •

(١) سورة البقرة •• الآية ١٨٩ •

ويذكر أن أول من خرج لرؤية الهلال في مصر كان القاضي غوث بن سليمان المتوفى ١٦٨ هـ ، وقيل أن أول قاض خرج من الشهود لرؤية الهلال هو أبو عبد الرحمن بن لهيعة الذي ولي القضاء في مصر عام ١٥٥ هـ .

وقد أصبح ذلك سنة لمن جاء بعد ذلك من القضاة حيث كانوا يخرجون إلى مسجد محمود بسفح جبل المقطم لرؤية الهلال في شهر شعبان وفي شهر رمضان أيضا ، ويوضح ذلك د. محمد عبد المنعم خفاجي في حديث له عن رمضان « شهر الذكريات والتاريخ » ، ففي مكان مرتفع من المسجد كانت توجد « دكة » تسمى « دكة القضاة » حيث كانوا يجلسون عليها لرؤية الهلال ، وقد أعيد بناء هذا المسجد في العصر الفاطمي ، فصاروا يرصدون الهلال من فوق مناراته .

وكان موكب الرؤية في العصر الفاطمي يتصدره الخليفة والعلماء والأمراء والوزراء والقواد والشعب من جميع المهن والحرف وينسبر الموكب من بين القصرين إلى باب الفتوح ثم يعود من باب النصر إلى باب الذهب ، حيث قصر الخليفة ، الذي يكون منتظرا حضور شهور الرؤية ، فإذا ثبتت رؤية الهلال كتب الخليفة بذلك إلى الولاة والنواب على البلاد ، وأمر بانارة مآذن الأزهر بالقناديل وبعث بالجنود إلى الأحياء المختلفة ، واستبشر الناس بذلك استبشارا كثيرا .

وفي عهد المماليك كان يخرج قاضي القضاة ومعه القضاة الأربعة للمذاهب الإسلامية ، والشهود ، لرؤية الهلال ، ويشارك معهم محتسب القاهرة ، وتجارها ورؤساء الطوائف والمهن فيها وجموع الشعب ، وكان شهود الرؤية يرصدون الهلال من فوق منارة مدرسة السلطان قلاوون بالنحاسين ، فإذا تحققت لهم الرؤية

أُضيئت القناديل على واجهة الدكاكين ، وخرج قاضي القضاة في موكبه تحف به الفوانيس والمشاعل حتى يصل الى داره ، وعندئذ تتفرق جموع الشعب معلنة بان غدا هو أول أيام الصيام .

وقد كان الشهود يعجزون عن رؤية الهلال حينما يأتي رمضان في الشتاء ، بسبب السحب ، ومن طريف ما يروى في ذلك أن التابعي الجليل سليمان بن مهران الملقب بالاعمش ، من كبار علماء التفسير والحديث والفقه (٦١ - ١٤٨ هـ) وقد كان يضيق بالثرثرة والكلام ، وقد عجز الشهود عن رؤية الهلال ، فأخذ الناس يتوافدون على مجلسه ليسألوه ، هل يصومون ذلك اليوم أو لا يصومونه ؟ ، فضاق ذرعا بأسئلتهم المتتالية في موضوع واحد ، فبعث أحد تلامذته ليحضر له (رمانة) من منزله ، ولما جاءه بها قطعها نصفين ووضعها أمامه ، فاذا لمح إنسانا قادمًا عليه ، تناول حبة من تلك الرمانة فأكلمها ، وعندما يراه القادم وهو يأكل ، يعود من حيث جاء وقد كفاه الشيخ الاعمش أن يسأل .

ومن طريف ما يروى أيضا عن رؤية هلال رمضان ، أن أهل البصرة لما اجتمعوا لرؤيته وراحوا يحدقون في الأفق ، لم يروا شيئا ، فصاح رجل من بينهم : لقد رأيته ، لقد رأيته ، فتعجب الناس من قوة ابصاره وهتفوا به : كيف أمكنك أن تراه دوننا ؟ ، فطرب الرجل لهذا الثناء وصاح : وهذا هلال آخر بجانبه !!

وفي عهد السلطان محمد الناصر بن قلاوون جاء رمضان شتاءا وكانت السماء مغيمة فلم تثبت رؤية الهلال ، فأجمع الناس على عدم الصيام ، ولكن حدث أن زوجة القاضي كانت تتراعى الهلال من فوق مسطح منزلها - وكانت حديدة البصر - فرأت الهلال من خلال السحب ، فأخبرت زوجها ، فصدقها ، وذهب الى السلطان

وأحلفها اليمين فحلفت ، وعندئذ أعلنت رؤية هلال رمضان ، وصام
الناس .

وقد وظفت هذه المرأة بعد ذلك شاهد لرؤية الهلال ، رسميا
وكانت تقبل شهادتها في كل عام ، ولم يحدث قبل هذه السيدة ولا
بعدها ، أن فازت سيدة بمثل هذا التقدير ، في مجال رؤية
الهلال .

وقد حظي هلال رمضان بمكانة لم يتمتع بها هلال شهر آخر.
بين الشعراء ، ومنهم ابن حمد يس الصقلي الذي وصف الهلال قائلا :

قلت والناس يرقبون هلالا
يشبه الصب في نحافة جسمه
من يكن صائما فذا رمضان
خط بالنور للورى أول اسمه

ثواب الافطار عندى وعندكم

يقول الله فى حديث قدسى « أحب عبادى الى أعجلهم فطرا »
ويقول الرسول فى حديث شريف « لا يزال الناس بخير ما عجلوا
الفطر » .

ولذلك فان أنس قال « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو على شربة من ماء » .

ويقول أنس بن مالك أيضا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفطر على رطبات قبل أن يصلى فان لم تكن فعلى تمرات فان
لم تكن حسا حسوات من الماء » .

فأول الأفعال المستحبة فى الافطار بعد الصوم هى ، التعجيل
به ولو بشربة ماء ، وان كان يستحب الافطار على شىء « حلو » كما
فعل الرسول وأمرنا أن نفعل ، واستحب أن يكون ذلك الشىء الحلو
هو التمر فقال « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة فمن
لم يجد فليفطر على ماء فانه طهور » .

وأحب التمر عند الرسول « العجوة » .

أما لماذا التمر بالذات ؟ فعلاوة على أنه الطعام المفضل في المدينة وعند أهل البادية ، فإن التمر مفيد لتنبيه المعدة للطعام ، ومفيد لتقوية العيون ، كما يقول طبيب العيون د. نجيب عبد السلام « أن الحلوى للصائم تفيد العيون وبخاصة العيون المريضة » .

ومع التمر يحسن شرب الماء لأن الكبد يحصل لها بالصوم نوع من اليبس ، فإذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده ، ولهذا كان الأولى للظمان الجائع أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء ، وللمر والماء تأثير مفيد أيضا للقلب ، ويفضل أن يفصل بين الطعام وبين أكل التمر وشرب الماء ، بضع دقائق لصلاة المغرب كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ، وذلك لفائده الصحية حتى ينتفع الصائم بما يتناوله بعد ذلك من طعام كما يقول الدكتور أنور المفتي :

« ان الأمعاء تمتص الماء المحلى بالسكر في أقل من خمس دقائق فيرتوى الجسم وتزول أعراض نقص السكر والماء فيه ، في حين أن الصائم الذي يملا معدته مباشرة بالطعام والشراب يحتاج الى ثلاث أو أربع ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في إفطاره من سكر (أى مادة سكرية من تمر أو ما يتيسر من غيره) ، وعلى هذا يبقى عنده أعراض ذلك النقص ، ويكون حتى بعد أن يشبع كمن لا يزال يواصل صومه » .

فاتباع سنة الرسول في فطوره يجعل الفطور صحيا يستفيد منه الجسم ، وبعد أن يتحلل المسلم من صيامه يقول ما يقوله الرسول « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وبك آمنت وعليك توكلت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ، يا واسع الفضل اغفر لى ، الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فافطرت » .

ومعلوم طبعا أن يكون الفطور من حلال كسببا ، وشرعا ،
فيحرم مثلا أن يفطر أحد على مسكر كخمر ، لقوله صلى الله عليه
وسلم « إن لله عتقاء في كل ليلة من شهر رمضان إلا رجلا أفطر على
خمر » .

ويحث الرسول على المسارعة في الكرم وإن كان واجبا في كل
وقت إلا أنه أوجب في رمضان كما كان الرسول جوادا وهو في
رمضان أجود من الريح المرسلة ، فيبشر من أفطر صائما .

● فيقول صلى الله عليه وسلم « من فطر صائما فله أجره
من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء » .

● « من سقى صائما سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ
منها حتى يدخل الجنة » .

● « من فطر صائما على طعام أو شراب من حلال صلت عليه
الملائكة في ساعات شهر رمضان وصلى عليه جبريل ليلة القدر » .

● « من فطر فيه (يعني رمضان) كان مغفرة لذنوبه وعتق
رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره
شيء » .

« صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى
سعد بن عباد رضي الله عنه ، فجاء بخبز وزيت فأكل ، ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم
الأبرار ، وصلى عليكم الملائكة « ، بل حتى الصائم في غير رمضان
لو أكل عنده غير الصائم فله أجره .

فعن أم عمارة الأنصارية رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقدمت إليه طعاما ، فقال : كلى ، فقالت : انى صائمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الصائم تصنى عليه الملائكة اذا أكل (بضم الالف) عنده حتى يفرغوا » .

وحتى لا يحرم كل مسلم مهما كان فقيرا لا يملك من ثواب ان يفطر عنده أخا له مسلما ، فقد قالوا له : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم » فقال صلى الله عليه وسلم « يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمر أو شربة ماء أو مذقة لبن » .

ويبدو أن أهل الغنى واليسار فى العصر الاسلامى الطولونى قد عرفوا ثواب من فطر صائما ، لدرجة أنهم كانوا يبعثون بخدمهم لجمع الناس من الشوارع ليتناولوا عندهم طعام الافطار ، ومن يرفض أو يعتذر يضرب ويحمل بالقوة ، كما ذكرنا ذلك فى مقدمة هذا الكتاب .

وقد تعددت وسائل الاعلام عن موعد الافطار فى مختلف العالم الاسلامى ، اما باضائة أنوار المآذن ، أو بالأذان نفسه ، وأخيرا عرف المدفع الذى انتشر وشاع .

وكان اطلاق مدفع الافطار فى رمضان لأول مرة منذ أكثر من خمسة قرون فى عهد المماليك .

فعند غروب شمس أول يوم من رمضان سنة (٨٦٥ هجرية) أراد السلطان المملوكى (خشقدم) أن يجرب مدفعا جديدا وصل اليه ، وقد صادف اطلاق المدفع وقت المغرب بالضبط ، فكان سرور الناس عظيما ، وقد ظنوا أن السلطان تعمد اطلاق المدفع لتنبيه الصائمين الى أن موعد الافطار قد حان ، فخرجت جموع أهالى القاهرة

الى بيت القاضي (الذى كان مقرا للحكم آنذاك) ، لشكر السلطان
على هذه البدعة الحسنة التى استحدثها ، رغم أنه لم يقصدها ،
فقد جاءت مصادفة ، ولكنه لما رأى مدى سرور الناس قرر المضي فى
اطلاق المدفع كل يوم ابتداء بالافطار كما زاد على ذلك مدفع السجور
والامساك ، وأصبحت عادة اطلاق مدفع الافطار مستمرة الى يومنا
هذا وتطورت لتشمل مختلف المناسبات الدينية والقومية والأعياد .

● من مظاهر رمضان التي ارتبطت به وارتبط بها ، الفانوس والكنافة ، والقطائف .

فانوس رمضان

ففى رمضان يخرج الأطفال ليلا وفى أيديهم الفوانيس الملونة الجميلة وهم يرددون الأغاني العذبة .

والفانوس كلمة يونانية قديمة كانت تطلق على أية وسيلة من وسائل الاضاءة .

ولكن كيف ارتبط الفانوس بشهر رمضان هذا الارتباط الوثيق ؟ فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، قدم المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب الى القاهرة ، بعد أن أتم جوهر الصقل بناءها لتكون عاصمة للفاطيين ، وكان دخول المعز ، مصر ليلا من جهة الجيزة ، فخرج المصريون عن بكرة أبيهم حاملين الفوانيس الملونة ، ترحيبا به ، ولاضاءة الطريق له ، وحتى يتمكنوا من رؤية موكب الخليفة. لأن الطرق لم تكن مضاءة آنذاك .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت فكرة الفوانيس ترتبط برمضان وكان الأطفال فى ذلك العصر يحلو لهم أن يمسكوا الفوانيس وليعلم المارة أن امرأة تسير فيخلو لها الطريق ، ومن هنا ارتبطت فوانيس رمضان بالأطفال وتأصلت فيهم هذه العادة .

الكنافة والقطائف

عن الكنافة يذكر أن أول من اتخذ الكنافة من العرب ، معاوية ابن أبى سفيان ، عندما كان واليا على الشام فى خلافة عثمان رضى

الله عنه ، وقد كان معاوية يأكلها في مسجده ليتقوى بها على
الصيام ، وكان ذلك لأن معاوية من الأكلة المشهورين فشكا إلى
طبيبه ما يلقاه من الجوع في صيامه فوصفها له .

وقيل انها صنعت لسليمان بن عبد الملك ، الخليفة الأموي .

وكما يقترون رمضان بالكنافة يقترون كذلك بالقطائف ، وقد
اشتهر العصران المملوكي والتركي بأنواع من الحلوى كالكنفاة
والقطائف .

وقد حظيت الكنافة بالذات بنصيب وافر من شعر الشعراء
الذين تغنوا بها فيقول شاعر :

مسقى الله أكناف الكنافة بالقطر

وجاد عليها سكرًا دائم القطر

وتبًا لأيام المخلل انهما

تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

ويقول شاعر آخر :

يا سيدى جاءتك فى خدرها

كانها روحى فى صدرى

كنافة بالحلوى موعودة

كما تقول العسل المصرى

ويقول شاعر ثالث :

إليك اشتياقى يا كنافه زائد

ومالى غناء عنك كلا ولا صبر

فلازلت اكلى كل يوم وليلة
ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ولم ينس الشعراء القطائف فقال أحدهم فيها :
وقطائف مثل البدو رأيت لنا من غير وعد
قد أسقيت قطر النبا ت وطيبت بالماء ورد
فحسبتها لما بدت فى صحنها أقراص شهد

صلاة القيام أو التراويح

عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عن صلاته عليه السلام فى رمضان ، فقالت : ما كان رسول الله يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة ، يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثا ، فقالت : فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ، فقال : يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » .

ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يحيب الناس فى مزيد من العبادة خاصة فى شهر رمضان ، فخرج فى ذلك الشهر الى المسجد ليكون قدوة للناس فى صلاة استنيتها يجتمع عليها الناس طوال الشهر المعظم ، وكانت هى ما عرف بصلاة التراويح .

تقول عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى فى المسجد - تعنى فى رمضان كما فى رواية البخارى - فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الليلة الثانية فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك ،

رمضان الذى لا تعرفه - ٤٩

فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال « أما بعد .. فإنه لم يخف على شأنكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها » .

وصارت صلاة القيام في رمضان سنة يصليها الناس إما فرادى أو جماعات متفرقة حتى عهد عمر بن الخطاب فجمع الناس على إمام واحد .

يقول الزهري : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس على ذلك - أي على ترك الجماعة في القيام - ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه ، قال عبد الرحمن بن عبد - بالتثنوين - القاري « خرجت مع عمر ابن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : اني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعمت البدعة هذه » .

وبذلك كان عهد عمر هو بدء اجتماع الناس على صلاة القيام أو صلاة التراويح ، في المسجد ، فأصبح ذلك من مظاهر شهر رمضان وعباداته المحببة التي يعمر بها المسلمون المساجد إلى وقت متأخر عن الأوقات العادية في غير شهر رمضان .

وقد حث الرسول على قيام رمضان كما قال أبو هريرة من

غير أن يأمر الناس فيه بعزيمة ، فمن شاء قامه ومن شاء تركه ،
ولكن قيامه أفضل لأن فيه غفرانا للذنوب .

فقال صلى الله عليه وسلم « من قام رمضان ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وصلاة قيام رمضان سننها الرسول وحبب في استمرارها في
غير رمضان ، وما رمضان الا تعويد عليها ، ولذلك قال الرسول
لعبد الله بن عمرو بن العاص فيما يشبه العتاب ، عندما كاد أن يترك
صلاة القيام : يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك
قيام الليل .

وكان الرسول يأسى ويحزن لفلان لأنه ترك صلاة قيام الليل ،
لأنه بذلك حرم ثوابها ، الذي أوضحه صلى الله عليه وسلم بقوله
« وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وجعل الرسول جزاء من أفشى السلام تحية وحبا وخيرا بين
الناس ، وأطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، وصلى
بالليل والناس نيام ، جزاؤه الجنة .

فقال صلى الله عليه وسلم « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا
الطعام وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

هذا في الآخرة أما في الدنيا لمن قام الليل فموعه مع ساعة
لا يوافقها الا أعطاه الله ما طلب .

يقول صلى الله عليه وسلم « ان في الليل لساعة لا يوافقها رجل
مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه ،
وذلك كل ليلة » .

وقد أخفى الله تحديد هذه الساعة من الليل ليجتهد عباده
المخلصون في عبادتهم في مختلف ساعات الليل عليهم يوافقونها ،
تماما كما أخفى الله تحديد ليلة القدر ، أى ليلة تكون ليزداد المسلم
قربا وتعبدا الى الله في كل ليالى رمضان عله يفوز بها ولا يلقاها
الا الذين صبروا على العبادة وقيام الليل ولا يلقاها الا ذو حظ
عظيم .

السحور والمسحراتي

فى بداية فرضية الصوم لم يكن هناك « سحور » فقد كان الطعام والشراب ومقاربة النساء ، حراما بعد صلاة العشاء ، وكذلك لمن أفطر ونام ، حتى لو استيقظ قبل الفجر ، فانه يظل صائما حتى مغرب اليوم التالى ، وذلك حتى لو نام قبل أن يفطر ، كما حدث لأحد الأنصار الذى كان صائما ، ويعمل طوال يومه فى أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال : هل عندك طعام ؟ قالت لا ، ولكن سأنطلق فأطلبه لك ، فلما عادت وجدت أن النوم قد غلبه ، فأصبح صائما، فأجهدته ذلك جهدا شديدا حتى غشى عليه ، فخفف الله عن المسلمين وشرع لهم إباحة الطعام والشراب ومقاربة زوجاتهم حتى مطلع الفجر وحينذاك أصبح هناك ما يسمى بطعام السحور ، وبذلك أباح الله لنا ما لم يباح لأهل الأديان السابقة ، كما يوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول « ان فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور » .

وأكد الرسول على السحور ورغب فيه ولو بشربة ماء ، فيقول « السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن أحدكم تجرع جرعة ماء فان الله وملائكته يصلون على المتسحرين » .

وقد اختلفت طريقة التسخير لايقاظ النائمين للسحور ، من زمن الى زمن ، ففي عهد الرسول كان بلال بن رباح رضى الله عنه يقوم بمهمة التسخير بصوته العذب الجميل ، وكان الرسول يقول « ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم » ، فيمسكون ، ويستحب أن يكون السحور قرب الفجر كما كان يفعل الرسول ، فيما روى زيد بن ثابت ، قال « تسحرنا مع رسول الله ثم قمنا الى الصلاة » فقال أنس بن مالك يسأل زيد « كم بين الأذان والسحور ؟ » قال : قدر خمسين آية » .

فيكون سحور الرسول قريبا من الفجر بحيث يفرغ منه وقد بقي على الفجر نحو عشرين دقيقة .

ويحثنا صلى الله عليه وسلم الى أن نحذو حذوه في تأخير السحور ، وأيضا التعجيل بالفطور ، في قوله :

« لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور » .

واذا كان التسخير بالأذان في عهد الرسول ، فقد تغيرت طريقته بعد ذلك ، ففي عام ٢٣٨ هـ كان ولاية مصر يذهبون الى جامع عمرو بن العاص في مصر القديمة سيرا على الأقدام من مدينة العسكر وهم ينادون للسحور ، وقد سن لهم هذه السنة والى مصر في ذلك العصر ، عنبة بن اسحاق .

وفي العصر الفاطمي كان المؤذنون يؤذنون على المساجد للسحور ، وفي أواخر العصر الفاطمي ظهر (ابن نقطة ، ٥٩٧ هـ) الذي كان يسحر الناس ، واخترع « القوما » لذلك ، وهو فن شعري شعبي له تقاليده الفنية الخاصة .

وراحت طائفة المسحورين بعد ذلك تتفنن في الأناشيد والأزجال وتؤديها وفق مرور أيام الشهر الكريم ، فيها وعظ وحث على الصيام

والقيام والتوبة والصدقة بالإضافة الى الدعوة الى تناول السحور
وشرب الماء قبل موعد الامساك ، ومما كانوا يقولونه ..

أيها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذي أجرى الرياح
ان جيش الليل قد ولى وراح
وتهانى عسكر الصبح ولاح
اشربوا عجلي فقد جاء الصباح

وفي القرن الثامن الهجرى كانت القناديل تعلق فوق المآذن ،
لتحدد للناس مواعيد السحور والامساك فاذا كانت هذه القناديل
مضاءة كان موعد السحور باقيا ، واذا أطفئت كان ذلك ايذانا بأن
الفجر قد أقترب .

أما فى العصر الحديث فقد استعمل المدفع للدلالة على وقت
السحور والامساك ، الى جانب المسحراتى الذى استمر كأحد مظاهر
الماضى فى التسخير .

والمسحراتى يتطوع من نفسه آملا فى عطايا العيد يوم العيد
بعد أن ينقضى رمضان ، ولكل مسحراتى منطقة يقوم بالتسخير فيها ،
وأحيانا يجوز أحد « المسحراتية » على الآخر فيبكر فى الحضور
قبله للطواف على البيوت قبل أوان السحور ، ويدق المسحراتى على
البيوت أو على الطبله، مناديا كل بيت بأسماء أطفاله أو أحب هؤلاء
الأطفال الى قلب كل أسرة ليجودون عليه بما يعطونه له من نقود .

هذا ولم يعد للمسحراتى دور فى عصرنا الحاضر ، فالناس
يسهرون حتى مطلع الفجر سواء أمام شاشات التلفزيون أو فى
المقاهى ، مما يجعلهم يذهبون الى أعمالهم مرهقين ، دون أن يؤدوا

عمالاً ، بحجة أنهم صائمون ، وغير قادرين على العمل ، وما ذلك
الا بسبب السهر فيما لا فائدة منه ولا جدوى .

وياليت السهر يكون فى عبادة ، والا فالنوم أفضل ، وحينذاك
يكون للمسحراتى دوره .

ولكن المسحراتى يصمم على القيام بدوره رغم عدم حاجتنا
له ، وإن كنا تسعد به دلالة على شهر رمضان وارتباطه به .

وقد عرفنا أن المسحراتى دائماً يكون رجلاً ، ولكن الذى
لا نعرفه أن المرأة أيضاً قد شاركت الرجال هذه المهنة السنوية ،
ويبدو أن الرجل لم يرحب بهذه المشاركة ، التى اعتبرها بدعة ،
كما يدل عليه هذا الشاعر الذى يصف لنا امرأة مسحرة ،
فيقول :

عجبت فى رمضان من مسحرة
بديعة الحسن الا أنها ابتدعت

قامت تسحرنا ليلا فقلت لها
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

الثواب للمعتكف وغير المعتكف !

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلم يعتكف عاما فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما » .

فالاعتكاف للعبادة مستحب في شهر رمضان ، ومستحب ان يكون مكانه المسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى رضوان الله الى الخير » .

وثبت أن النبي قد اعتكف في المسجد كما تروى زوجه صفية رضى الله عنها « أنها جاءت رسول الله تزوره في اعتكافه بالمسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها ، يعنى يوصلها ، حتى اذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة ، مر رجلا من الأنصار فسلما على رسول الله فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما ، انما هي صفية بنت حبي ، فقالا : سبحان الله يا رسول

الله ، وكبر عليهما ، أى استكثرا أن يقول لهما الرسول ذلك ، فهل يشكان فى سلوك الرسول ؟ .

ولكن المعلم الأعظم وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، عليم بنفوس البشر وما قد يعتورها من وساوس ، فقطع الشك باليقين رغم أنه رسول يوحى اليه وأخبر الرجلين اللذين شاهدها أن التى كانت معه هى زوجته صفية ، فلما استغريا ذلك ، منزهين الرسول عن أن يتهمونه بشئ قال صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا » .

وهذا التصرف من الرسول درس يجب أن تتعلمه كمسلمين يضرورة أن تكون تصرفات كل منا واضحة بعيدة عن أى شبهة ، حتى مظنة الشبهة يجب ازالتها بكل طريقة من الطرق ، باستعمال الصدق والحقيقة ، فى مجال الافراد ، يجب ان يكون الانسان بعيدا عن كل شبهة رياء ، وبعيدا عن كل سلوك يوجب مجرد الظن ولذلك كان الله سبحانه وتعالى حكيما عندما امتدح الذين ينفقون أموالهم سرا ، وامتدح كذلك من ينفقونها علانية ، لأن الناس قد يرون الرجل الغنى ويكون منقفا فى أوجه الخير والبر سرا نفيا لشبهة المراءاة ، ولكن الناس قد يتهمونهم بالبخل وهنا يبيع الله لمثل ذلك الغنى أن يعلن عن بره وانفاقه ليزيل شبهة البخل والتقتير عن نفسه دفعا لمظنة الاتهام عن نفسه وفى نفس الوقت ليكون قدوة لغيره من الأغنياء ، ولذلك فلا يتعجب الناس ولا ينزعجون ويسارعون باتهام بعض من يعلنون أو يعلن عنهم فى الصحف عن تبرعهم لأوجه الخير ، فليس ذلك مراءاة وانما قد يكون ذلك نفيا لتهمة الشح عن أنفسهم ، واقتناعا منهم بالانفاق دون أن يحمل ذلك فى نفوسهم رغبة الرياء والظهور والاعلان ، لمجرد الظهور والاعلان .

وكما يجب دفع الشبهات فى مجال الأفراد فإن دفع الشبهات فى مجال المسئولية أوجب ، حيث يجب أن يكون كل مسئول فى موقع عمله ، على قدر مسئوليته نزيها مبرءا من الشبهات ، وإذا حامت حوله مظنة أى شبهة عليه أن يسارع بإعلان الحقائق عن نفسه قبل أن تنتشر الشائعات وتصبح حقيقة فى أذهان الناس ، ولذلك وجدنا الرسول القدوة وهو فى أثناء فترة اعتكافه وقد خرج مودعا زوجه صفية ، قد شاهد رجلين - لا يعرفان من هى تلك المرأة التى كان يقوم بتوصيلها الرسول فاستوقفهما بنفسه وأخبرهما دون أن يسألاه بأن تلك المرأة هى صفية زوجه ، حتى لا يتطرق الى ذهنهما مجرد خاطر بالسؤال عن تكون تلك المرأة التى كانت مع الرسول فيوقع الشيطان فى نفسيهما ولو مجرد مظنة شبهة، فرأى الرسول أنه حتى مجرد الخاطر بالسؤال فى ذهن الرجلين ، لا يجب أن يحدث على الإطلاق نحو نبي الأمة وقائدها ومسئولها الأول ، الذى يجب أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه أحد من رعيته ، وذلك ما يجب أن يكون دستور كل مسئول فى أى موقع من مواقع القيادة والمسئولية والانتاج .

ولأن الرسول كان مسئولا عن أمة كاملة أنشأها من العدم فقد جاء بالتشريع الذى يصلح لها وتصلح له ، وسن لها ما يجعلها دائمة القرب من الله ابتغاء الفلاح فى الدنيا والآخرة .

ومن سنن القرب الى حضرة الخالق الأعظم الاعتكاف ، ولكن بعض السنن قد لا يتمكن بعض الناس من القيام بها ، حتى الرسول نفسه الذى سن الاعتكاف لم يقم به فى احدى السنين لأسباب اقتضت ذلك فاعتكف فى السنة التالية عشرين ليلة ، عشر لهذه السنة ، وعشر للسنة الماضية ، فإذا حالت الأسباب دون تمكن بعض المسلمين من القيام بسنة الاعتكاف ولم يتمكنوا منها لأسباب

حالت بينهم وبين تلك السنة من سنن القرب والتقرب والقربى الى الله ، فهل يحرمون ثوابها ؟

ان الرسول وهو النبي القائد يسوى بين رعيته فى عطايا الألوهية ، فقد جعل لكل شىء بديلا ، تيسيرا على المسلمين ومن ذلك أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله يشكون اليه أنهم لا يطاولون الأغنياء فى برهم واحسانهم « يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق ، فعلمهم الرسول ما يدركون به سبق الأغنياء ولا يكون أحد أفضل منهم الا من صنع مثلهم ، فقال لهم « تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة »

وهو ما يعرف بختام الصلاة ، فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله فقالوا له : سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

فختام الصلاة الذى علمه الرسول للفقراء ليتساووا بالأغنياء فضلا وبرًا واحسانا ، عبادة قد تبدو بسيطة ، لما سمع بها الأغنياء فعلوها ، مما جعل فقراء المهاجرين يراجعون رسول الله ، ولكنهم لو علموا أن الغنى قد لا يدوم ، وأن العبادة التى علمها لهم الرسول تدوم لو داوموا عليها ، ولو علموا أنهم لو أغناهم الله ثروة ومالا ما ضمنوا تغير نفوسهم ، مثلما فعل واحد من الفقراء مثلهم اسمه ثعلبة وكان عابدا متعبدا ، أغناه الله بعد أن ألح على الرسول أن يدعو له بالثراء ، فلما صار غنيا نكث بحقوق الله عليه فتكاسل عن عبادته وأنكر زكاة أمواله ، فلو علم فقراء المهاجرين أن نفوسهم وهى نفوس بشرية وان دامت بالشكر والعبادة فى حال فقرها ، فما يدرهم أن تتغير هذه النفوس فى حال غناها وراثتها فتعمى كما عمى

ثعلبة وبذلك يخسرون ديناهم وآخرتهم ، لأن من يجرب ويعيش التجربة ليس كمن يقول ويتكلم .

ولذلك فإن ختام الصلاة التي عملها الرسول لفقراء المهاجرين وإن لم يتساووا بها مع الأغنياء الذين فعلوا ما علمه الرسول للفقراء ، فإن ختام الصلاة هذا أيسر أداء من أداء المال الذي عادة ، تضعف النفوس أمامه ، وختام الصلاة هذا أبقي دواما من المال الذي لا دوام له . وختام الصلاة هذا لا فتنة فيه كالمال الذي يجعله الله فتنة لمن وهبهم إياه يشكرون أم يكفرون ، وإذا ذهب هل يقنطون ؟ .

ولذلك فإن البديل التعبدى الذى علمه الرسول لفقراء المهاجرين ، لو علموا أنه خير من غنى الأغنياء الذين حسدوهم عليه وهذا حسد مشروع كما قال صلى الله عليه وسلم « لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آتاء الليل وآتاء النهار ، ورجل آتاه مالا فهو ينفقه آتاء الليل وآتاء النهار » .

وهو حسد ليس بمعنى الحقد وتمنى زوال النعمة ، بل حسد بمعنى تمنى أن يكون للانسان مثل تلك النعمة ليقوم بواجبها ، ولو علم فقراء المهاجرين أن ختام الصلاة الذى علمه رسول الله لهم خير وأبقى ولا فتنة فيه ، كالفنى المشكوك بقاؤه ودوامه والذى يحمل فتنة لا يدري صاحبه أينجح فيها أم يضعف أمامها، لو علموا أن هذا البديل التعبدى له كل هذه الميزات عن الغنى والثراء لحمدوا الله على السلامة .

فالرسول كان اذن عادلا فى عطاياه التعبدية الموصلة الى رضى الله ، حينما لم يحرم الفقراء فضل وثواب الغنى الشاكر، وهو كذلك أيضا كان عادلا ، كراع يجب ان يسوى بين رعيته فى منحه وعطاياه التعبدية ، حينما لم يحرم غير القادرين على الاعتكاف فى رمضان

من ثواب وفضل القادرين على الاعتكاف في هذا الشهر الكريم ،
وذلك كما يتضح من حكاية ابن عباس مع الرجل الحزين .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه كان معتكفا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ،
فقال ابن عباس : يا فلان أراك مكتئبا حزينا ، قال نعم يا ابن عم
رسول الله ، لفلان على حق ولاء - أى صلة بين السيد وعتيقه
بسبب نعمة العتق على عتيقه ، ولعل هذا الرجل كان عليه من مال
كتابة صك العتق بقية عجز عن أدائها ، مما جعله مكتئبا وحزينا ،
فعرض عليه ابن عباس أن يكلم صاحب الولاية في ذلك الحق .

وأقسم الرجل : وحرمة صاحب هذا القبر (يقصد الرسول
صلى الله عليه وسلم) ما أقدر عليه (أى لا يقدر على أداء ذلك الحق
إلى صاحبه) فقال ابن عباس : أفلا اكلمه فيك ؟ فقال : ان أحببت ،
يعنى لو فعلت ذلك أكون شاكرا وممنونا لك .

فانتحل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، ولكن الرجل تذكر
أن ابن عباس كان معتكفا وأنه بذلك يقطع اعتكافه ، فاستوقفه
قائلا : أنسييت ما كنت فيه ؟

قال ابن عباس : لا . . ولكني سمعت صاحب هذا القبر
(ودمعت عيني ابن عباس لقرب عهده برسول الله) صلى الله عليه
عليه وسلم وهو يقول « من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا
له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى
جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » أى
أبعد ما بين المشرق والمغرب ، كناية عن نهاية البعد وتحريم جسده
على النار .

فقد عوض الله غير القادرين على الاعتكاف بأن فتح لهم بابا
يدخلون منه إلى نيل ثواب الاعتكاف وزيادة ، وذلك ترغيبا في أن

تقضى حاجة أخيك المسلم مادمت قادرا على القيام بها ، ولكن ان لم تقدر فهل تحرم الثواب ؟ •

ان نيتك فى قضاء حوائج الناس وان لم تقضها ، تكتب لك حسنة ، كما يؤكد الرسول أن من هم بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة ، لأن مناط الجزاء على الثواب هو النية لأن الأعمال بالنيات. ولكل امرئ ما نوى كما قال صلى الله عليه وسلم ، وكما يقول حكيم : « اهتمامك بالمعروف ، معروف » ، أى كونك مهتما بأن تسدى معروفا الى فلان ولست قادرا على الاتيان به ، فمجرد هذا الاهتمام خير ومعروف فى حد ذاته •

أما من قدره الله على قضاء حاجة أخيه المسلم فكل خطوة يخطوها حسنة فاذا قضى حاجة أخيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » •

واذا حدث له فى طريقه ما أضاع حياته ، فهل ينسب السبب الى أخيه الذى كان ذاهبا من أجله لقضاء حاجته ، فيندبه أهله ويقولون : لو لم يذهب الى المكان الفلانى لقضاء حاجة فلان ما حدث له ما حدث ، وكأنهم يلومون فعله للخير ويعطون أنفسهم من أنفسهم درسا فى عدم قضاء حوائج الناس ، ومع أن كلمة «لو» تفتح عمل الشيطان وهو مراده من الانسان كما أخبرنا الرسول ومع أن أحدا لا يقادر الدنيا الا إذا حان أجله لا يتقدم عنه ولا يتأخر قدر أنملة أو جزءا من الثانية ، وانما هى أسباب مقدره ، رغم كل هذا أو ذاك فلا يحزن من هلك وهو ذاهب لقضاء حاجة أخيه ولا يندبه أهله ، بل عليهم أن يفرحوا له ويحسدونه ويتمنون لو فعلوا مثله وذهبوا مثله فتلك بشرى الرسول لمن مشى فى حاجة أخيه المسلم وأدركته المنية ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « وإن هلك وهو بينها دخل الجنة بغير حساب » •

فهل هناك أجرى وأعظم من دخول الجنة بغير حساب سوى رؤية وجه الحق حينما يعطى المؤمنين الحسنى (بالجنة) وزيادة ، (بالنظر الى وجهه الكريم) .

ولكن هل هذا الثواب العظيم لمن مشى فى قضاء حاجة أخيه حيث له حسنة بكل خطوة يخطوها ، واذا قضاها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن مات وهو بينها دخل الجنة بغير حساب ، إضافة الى أن من قضى حاجة أخيه فذلك خير له من اعتكافه عشر سنين كما أخبر بذلك الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم .

فهل تلك الميزات الكبرى لمن سار فى طريق الخير بقضاء حاجة أخيه المسلم تكون ذات أثر سلبي على كل معتكف، فيخرج من اعتكافه كما فعل ابن عباس ليقضى حاجة الرجل الحزين المكتئب كما رأينا سابقا ، أو لا يعتكف أحد ويكتفى بالعمل على قضاء حاجة أخ مسلم طمعا فى هذا لثواب العظيم والجزاء الكبير الذى وعد به الرسول ؟ انه صلى الله عليه وسلم لم يفته ذلك وهو الرسول القدوة والأسوة الحسنة والذى لا يجعل ثواب عمل يرغب عن ثواب عمل آخر ، بل يريد لأبناء أمته الاسلامية أن يدخلوا من كل أبواب العبادة والعمل الصالح لينالوا خيرها وثوابها ، ولذلك عندما جعل جزاء من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ، خشى أن يحزن المعتكف ويجعله يفضل على الاعتكاف ، قضاء حاجة أخيه المسلم ، ولذلك أضاف قائلا صلى الله عليه وسلم « ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » .

فيتساوى بذلك ، المعتكف ليوم واحد فقط ، مع من قضى حاجة أخيه المسلم ، فكلاهما يجزل له الحسنات طالما ظل المعتكف فى اعتكافه ، وقاضى حاجة أخيه فى سيره لقضائها ، وكلاهما يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فيتباعد بينهما وبين النار ، وكلاهما

يدخل الجنة (قاضى حاجة أخيه اذا هلك دونها ، والمعتكف اذا داوم واعتكافه) .

ومن الملاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل كل هذه البشريات فقاضى حاجة أخيه وجعلها مشابهة لبشريات المعتكف ، رغم أن المقارنة هنا بين معتكف وبين متحرك ، وذلك لأن المعتكف وان ظل فى مكان واحد فهو قد تحرك من مجال حياته التى اعتاد عليها الى حياة أخرى تقربا الى الله ، وهو وان ظل غير متحرك فى الظاهر وهو بالمسجد ، فان كل كيانه فى الحقيقة متحرك ذكرا وعبادة وإخلاصا لله بنية الوصول بروحه وقلبه وعقله الى تقرب من حضرة ربه ، وكذلك المتحرك لقضاء حاجة أخيه يكون له مثل ثواب المعتكف المتبتل الى الله بل وأكثر لأنه المعتكف وان كانت حركته التعبدية يعود ثوابها على نفسه ، فان المتحرك لقضاء حاجة أخيه قد انتقل نفعه لنفسه الى نفع الآخرين وبذلك اقتضت حكمة الرسول وهو يضع البديل لغير القادرين على الاعتكاف ، أن يشيع نوعا آخر من الاعتكاف يستطيعه أكبر عدد ممكن من الناس وهو أن يعكف كل منهم لقضاء حاجة أخيه ما استطاع الى ذلك سبيلا فيتحقق بذلك الحب الايماني والتكافل الاجتماعى الذى نادى به وحث عليه الاسلام .

ودعوة الرسول للناس لقضاء حوائج الناس وما يترتب عليها من حسنات وغفران للذنوب ودخول جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهى دعوة تحبيب لكل من وضعه الله فى موقع من مواقع التعامل مع الناس، أن يقضى حوائجهم بكل ما أوتى من حب وإخلاص، ولعل كل وظيف أو مدير أو رئيس أو مسئول يعرف وما أعدده الله لكل منهم من خير فى أنفسهم وأهليهم ومجتمعهم، ليقبلوا بكل جوارحهم لقضاء حوائج الناس ومصالحهم بدلا من

رمضان الذى لا نعرفه - ٦٥

تعطيلها بالتمحك في الروتين الذى ان لم يلقوه وراء ظهورهم ، أو
يبسطوا اجراءاته ما كان هناك سبيل الى ذلك ، فان مثل ذلك
الروتين وراكبيه الى اذلال الناس ووقف حالهم وتعطيل مصالحهم،
ستسرع بهم عجلاته الى خسارة الدنيا والآخرة ، ويحترقون في
النار مع الروتين الذى عطلوا به حوائج الناس والذي سيكون لهم
مثل حطب جهنم وبئس المصير .

أما ان تابوا وقضوا حوائج الناس فلهم ثواب من قضاها
وثواب معتكف في عشر سنين ، بل وخير منه ، فكيف يكون
اختيارهم ؟ .

الزكاة ٠٠ على الأغنياء والفقراء !

عن ابن عمر قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر » وما يفرضه الرسول أكداه القرآن « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (١) .

وسواء ما فرضه الرسول أو استنته ، ذكره القرآن أو لم يذكره فإننا مطالبون بطاعة الرسول بأمر الله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » (٢) ، لأن الرسول « لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » .

والزكاة مرتبطة بالصيام لحكمة ذكرها ابن عباس رضى الله عنهما حين قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، طعمة للمساكين » .

ويظل الصوم معلقا الى أن تؤدي الزكاة كما يقول صلى الله عليه وسلم « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض ولا ينزل الا بزكاة الفطر » .

(١) سورة البقرة ٠٠ الآية ١١٠ .

(٢) سورة النساء ٠٠ الآية ٥٩ .

ولكن الصائمين من فقراء المسلمين الذين لا يملكون أداء الزكاة ، فماذا يكون موقفهم ؟ .

ان الزكاة تسقط عمن لا يملك قوت يومه اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ومن بقى له من قوت يومه شيء فأخرجه ، أجزاء ذلك ، لقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » (١) .

وقيام الفقير بالزكاة بما فاض من قوت يومه ان وجد يبشره الرسول صلى الله عليه وسلم « أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى » .

والزكاة تؤدي عن كل نفس من المسلمين كما قال ابن عمر رضي الله عنهما « حر أو عبد .. رجل أو امرأة .. صغير أو كبير » .

ويصح للمرأة الغنية أن تعطى زكاتها لزوجها الفقير ولا يصح للرجل أن يعطى زكاته لزوجته الفقيرة لأن مؤنتها مطلوبة منه ، ويجوز لفقيرين أن يدفع كل واحد زكاته للآخر شرط ألا يكون ذلك عن اتفاق مسبق أو عادة مستمرة بل يكون على سبيل المصادفة ، كما قال العلماء ، ومن سافر وأوصى أهله أن يخرجوا عنه زكاة الفطر كفاه ذلك ، ويستحب مع هذا أن يخرج زكاة البلد الذي سافر اليه ، فان لم يوصهم ولا اعتادوا أن يخرجوا عنه ، وجب عليه اخراج زكاة الفطر .

وأولى الناس بالزكاة المعجزة والأقارب وأهل الصلاح والتقوى الذين لا يسألون الناس الحافا :

ووقتها قبل صلاة العيد لقول ابن عباس « فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » .

(١) سورة التباين .. الآية ١٦ .

وأداء الزكاة قبل العيد حتى يشارك الفقراء فى فرحة العيد
ولا يسألون الناس لقوله صلى الله عليه وسلم « اغنوهم عن الطواف
فى هذا اليوم » .

أما عن طبيعة الزكاة فتكون من الطعام المعتاد فى البلد قمحا
كان أو غيره ، ويجوز دفع القيمة نقدا لأنه أيسر وأكثر فائدة ،
وقيمتها كيلة من الحبوب تكفى عن ستة أشخاص ويحسب سعر
الكيلة حسب سعر السوق ، ويقسم ثمنها على ستة أشخاص ومن
زاد ، فالزيادة فى الخير مرغوبة .

والزكاة وإن شاع عنها ارتباطها بالصيام فى شهر رمضان ،
فإن الزكاة بمعناها الأشمل تتسع للأموال ذهبا وفضة ولأنعام من
ابل وبقر وغنم ، كما تشمل الزكاة الحبوب قمحا أو شعيرا أو
أرزا وغيرها ، وتشمل الثمار تمر وزيتونا وزيبيا .

ويتسع مجال الزكاة فيما ليس مجاله هنا ، ولكننا أردنا
التنبية فقط الى ضرورة أن يتنبه كل غنى ذى مال، سواء كان نقديا
أو عينيا ، أن يؤدى حق الله ويسعى لمعرفة المقدار الذى يجب عليه
فيه الزكاة ، فإذا انطبقت على ما عنده شروط الزكاة وجب أن
يخرج عنها الزكاة ، طهرة لماله وتبرئة لنفسه من العواقب ويكفى
نماذج لها مما ذكره الله فى كتابه الكريم عقابا لمن يكتزون الذهب
والفضة « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل
الله فيشربهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتسكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما
كنتم تكتزون » (١) .

هذا لمن لم يزك عن ماله النقدي .

(١) سورة التوبة ٠٠ الآية ٣٤ ، ٣٥ .

أما من لم يترك عن ماله العيني كالأنعام فانظر ما يتوعده به الرسول في الآخرة :

« والذي لا اله غيره ، ما من رجل تكون له ابل أو بقر أو غنم . لا يؤدي زكاتها الا أتى يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمه ، تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أхраها ، ردت عليه أولاهها حتى يقضى بين الناس » .

فالنعمة تقتل صاحبها ان لم يؤد حق الزكاة فيها ، فما بالك مثلا بمن يتاجر في السيارات أو يبنى العمارات ، ولا يؤدي حق الله فيما وسع عليه فيه ، من زكاة ؟

انه قياسا على حديث الرسول تدوسه سياراته ، وتطحنه عمارته يوم القيامة علاوة على فضيحتة بين خلق الله جميعا .

والرسول يدعونا الى الاعداد لهذا اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وأن نتقى النار ولو بشق تمرة نتصدق بها كما قال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة » فهل يستجيب أغنياء المسلمين ويساهمون ولو ببناء مدرسة أو مستشفى أو تشجير طريق ، وغير ذلك من وجوه البر والصدقة الجارية التي لن ينقطع ثوابها حتى بعد مفارقة الدنيا كما أخبر الرسول « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

وعلاوة على ما في الزكاة من تطهير للنفس من الشح والبخل ، ففيها تكامل المجتمع الاسلامي ، ما لا يجعل به فقيرا كما يقول الامام متولى الشعراوى في خواطره الايمانية حول القرآن الكريم ، انه لو تكفل كل غنى موسر في كل أسرة مسنة بالفقراء من أقاربه ، فلن يبقى في المجتمع المسلم الا قلة من الفقراء تتكفل أموال الزكاة بهم فلا يكون بين المسلمين فقير يشكو الحاجة ، هذا فضلا عن

شيوع الحب فلا يحقد فقير على غني ، لأن الغني قد انتقل اليه ونال من خيره ، ولذلك يدعو له بزيادة ثرائه وغناه .

وإذا كانت الصدقة متروكة لاختيار كل انسان وأريحته ، فإن الزكاة فريضة مفروضة ، منكرها ومانعها عمن تحقق عليهم حكمهم حكم المرتدين عن دين الاسلام ، ويجب قتالهم حتى يعودوا الى أداء حق الله والا استحللت دماؤهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » .

وقد ثبت أن أبا بكر قاتل مانعي الزكاة ، فقد قال وفعل « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه » .

الى هذه الدرجة لم يفرط أبو بكر في حق الزكاة على الأغنياء ، حتى لو كان على عقال بغير وهو الحبل الذي يوضع في قدم البعير وهو راقد فلا يقوى على السير أو الوقوف ، وهذا كناية عن عدم التهاون أو التسامح مع كل من يمنع حقا قرره الاسلام وفرضه مادام قادرا على أدائه ، وعلى هذا قياسا فان المتهربين من الضرائب في عصرنا لا ينبغي التسامح معهم لأن التسامح معهم اقرار لهم بأحقيتهم في التهرب ، ومن لم يرع ضميره ويؤدى ما عليه من واجبات ، وجب أن يوقف ضميره من أولى الأمر حتى لو اقتضى الأمر وسيلة الشدة كما فعل أبو بكر مع ما نعى الزكاة .

ولماذا ليلة القدر ؟

يشاع بين الناس أو بعضهم عن ليلة القدر أنه فيها تنفتح
كوة مستديرة في السماء فينبثق منها نور ساطع يغطي الأرض
ويذهل العقول ويعتقل الألسنة ، لا يراه أو يتنبه الى معناه الا من
كتبت له السعادة فمن صادفها ودعا استجيب له ، لأن باب السماء
مفتوح ، ولحظتها قصيرة ، لا تتسع الا لثلاث دعوات ثم تغلق
الكوة وينقشع النور وتعود الدنيا كما كانت .

وقد سرى هذا الوهم لدرجة أن البعض يسهر لها حتى
الصباح يرقب السماء عله يكون من الموعودين بها .

وليس ذلك طبعاً الا من قبيل الخيالات التي يرسمها بعض
الناس نظراً لما تواتر عن فضل تلك الليلة التي هي خير من ألف
شهر .

ولكن متى تلك الليلة ؟

الثابت أنها في شهر رمضان ، المتواتر أنها في الوتر من
العشر الأواخر من شهر رمضان ، وإن لم يكن مقطوعاً في أي يوم

من أيام الوتر هل هو اليوم الواحد والعشرين أو التاسع والعشرين
أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين أو التاسع والعشرين ،
وان كان هناك اتفاق أو شبه اتفاق على أنها ليلة السابع
والعشرين .

غير أن الله لو شاء لأمر رسوله أن يخبرنا في أى يوم تكون
ليلة القدر ، ولكن الله أخفاها لسببين يذكرهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فقد قال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله أخبرني أى ليلة
تبتغي ليلة القدر ، فقال : لولا أن تترك الناس الصلاة الا تلك
الليلة لأخبرتكم .

فالرسول لا يريد أن يركز المسلمون على يوم واحد يكثرون
فيه من العبادة بل أن تشيع عبادتهم في كل يوم .

ولأنه صلى الله عليه وسلم الرؤوف الرحيم بأمته ، فلم يشأ أن
يغمي على أمته تماما موقع ليلة القدر من رمضان فحددها لهم في
العشر الأواخر من رمضان .

تقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله يجاور في العشر
الأواخر ويقول « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من
رمضان » .

ثم قرب الرسول لأمته في أية ليلة من ليالي العشر الأواخر ،
وهي الليالي الوتر .

عن عائشة أيضا عن النبي أنه قال « تحروا ليلة القدر في
الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

أما لماذا الوتر من العشر الأواخر وليست الشفع من العشر
الأواخر ؟ •

فذلك لأن الله وتر أى واحد ، ولذلك كما يقول صلى الله عليه وسلم « ان الله وتر يحب الوتر » •

ولن يصرف هذا التحديد المسلمون ليزدادوا تعبداً فى يوم ويتركوا اليوم الذى يليه على اعتبار تحديد الرسول ليلة القدر بأنها الأيام الوتر من العشر الأواخر ، وذلك لأن أيام الوتر متداخلة مع غيرها من أيام الليالى العشر ، ولذلك فإن الرسول قد سَنَّ الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان ، وذلك ليقتدى به المسلمون اجتهدا فى العبادة عليهم يصادفون ليلة القدر •

ولذلك تقول عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره ، وفى العشر الأواخر منه ما لا يجتهد فى غيره » •

واجتهاد الرسول فى العبادة يكون باحياء الليل كله صلاة وتلاوة للقرآن •

تقول عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله وأيقظ أهله ، وجد وشد المنزر » •

وهكذا بالاجتهاد فى العبادة يدرك من أخلص فيها ، تلك الليلة المباركة ، اذا شاء الله له هذه المنحة الالهية الكبرى ، فاذا أدركها ماذا يقول فيها من دعاء ؟ •

لقد سألت السيدة عائشة ، الرسول هذا السؤال ، قالت له صلى الله عليه وسلم « رأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولى : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » •

وكما يتحقق باخفاء الرسول تخصيص ليلة معينة بأن تكون هي ليلة القدر ، أكبر قدر ممكن لأمة محمد بالتقرب الى الله بالعبادة في العشر الأواخر من رمضان • فان السبب الآخر لاختفاء تلك الليلة المباركة ذو دلالة أيضا كما يتبين لنا مما رواه عبادة بن الصامت الذي قال « خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى (تجادل وتخاصم) رجلان من المسلمين ، فقال « خرجت بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن تكون خيرا لكم » •

ورغم أنه كان مقدرا اختفاء ليلة القدر بعدم تحديد ليلة بالذات حتى لا تنفرد تلك الليلة بعبادة خاصة دون الليالي الأخرى ، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « وعسى أن تكون خيرا لكم » ، باخفائها حتى تسرى العبادة في أكثر من ليلة كما ذكرنا من قبل ، فان السبب الذي ذكره الرسول غير هذا السبب لاختفاء ليلة القدر بعد أن شاهد الرسول رجلين يتجادلان ويتخاصمان ، لما يدل على أن عوامل الشحنة والجدل العقيم والخصام والخلاف بين المسلمين ، لهي من أسباب تأخرهم وتخلفهم عن ادراك ثمار الاتحاد والألفة والحب ، الناشء عن وقوفهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر ولحمى ، كما أمرنا رسولنا أن نكون ، ولو كنا في عصرنا الحاضر كما أمرنا الرسول لما تجرأ علينا أعداؤنا وما فاتتنا ثمار التقدم ، تماما كما فاتت على المسلمين تحديد الرسول لليلة القدر بعد أن كاد أن يخبرهم بها لولا المتجادلين المتخاصمين ، وفي ذلك إشارة واضحة ودعوة صريحة لأمة الاسلام الا تفرق نفسها في الخلافات التي تضيق عليها كل خير يمكن أن يعود عليها اذا اتحدت وتضامنت •

ويزداد هذا المعنى بيانا ووضوحا ، إذا عرفنا السبب الذى
من أجله وجدت ليلة القدر .

ففى رواية ان الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر يوما أربعة
من بنى اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين ، فذكر
أيوب وزكريا وحزقييل بن العجوز ، ويوشع بن نون ، فعجب
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ، فاتاه جبريل ،
فقال يا محمد : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم
يعصوه طرفة عين ، فقد أنزل الله خيرا من ذلك ، فقرأ عليه :

« أنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة
القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من
كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من
بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب
المسلمون من ذلك ، فأنزل الله عز وجل « أنا أنزلناه فى ليلة القدر
•• ليلة القدر خير من ألف شهر » ، التى لبس ذلك الرجل السلاح
فيها فى سبيل الله .

ورغم اختلاف الروايتين عن سبب وجود ليلة القدر إلا أن
مضمونهما واحد ، وهو أن من بنى اسرائيل من بلغ فى التقرب
الى الله أمدا بعيدا قد لا يبلغه أحد من أمة محمد وأعمارهم قصيرة
ليست بطول أعمار الناس فى الأمم السابقة ، كما ذكر فى رواية
ثالثة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أرى أعمار الناس قبله أو
ما شاء الله من ذلك ، فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل
الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من
ألف شهر .

وليس من الصعب أن ندرك أن الله قد أراد بليلة القدر أن تدرك أمة محمد في أعمار أبنائها القصيرة ، فضل عبادة بعض أبناء الأمم السابقة ذات الأعمار الطويلة ، ومن هذه الأمم أمة بنى إسرائيل التي أجمعت روايتان سابقتان على ذكرها ، وهذا اقرب في المبنى والمعنى باعتبار أن اليهودية قد كان لهم مع الدعوة الإسلامية تاريخ حافل في عهد الرسول ، وقصص بنى إسرائيل قريبة الى الاستماع من المسلمين لأنهم عاشوا مع أحفادهم في المدينة وكانت لهم معهم جولات ، فمن الطبيعي أن يكون المراد بليلة القدر أن يدرك المسلمون بفضلها ، فضل المتعبدين المتبتلين من بنى إسرائيل الذين ذكر أن أربعة منهم عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين ، وذكر ذلك الرجل الذى حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر ، فكانت ليلة القدر خير من ألف شهر منحة الهية لأمة محمد ليدركوا فضل بنى إسرائيل الذين وجد منهم هؤلاء المتعبدين ، المجاهدين ، ولكن الرسول ليخبر الناس به ، فرأى رجلين يتخاصمان فكانت نتيجة خصامهما أن رفع تخصيص ليلة القدر ، والمعنى المراد من الله لأمة محمد وهو يعلم في مستقبل الأجيال ان صراعا سوف يقوم بين تحديد ليلة القدر قد رفعه الله عن الأمة المحمدية بعد أن خرج بنى إسرائيل والمسلمين بل ان الصراع قد بدأ بالفعل في عهد الرسول ، هو أنه اذا كانت ليلة القدر قد رفع تحديدها بسبب خصام رجلين من المسلمين ، وقد جاءت ليلة القدر ليدرك المسلمون عبادة وجهاد بعض بنى إسرائيل ، فان على المسلمين أن يرتفعوا عن خلافاتهم حتى يدركوا أحفاد بنى إسرائيل فى قوتهم وتقدمهم ، والا فاتهم التقدم وتخلت عنهم قوتهم ولحق بهم الضعف وظل بنو إسرائيل يسبقونهم ويتجراون عليهم وتكون لهم الغلبة عليهم ، ولعل هذا هو الحادث الآن ، وبدلا من أن ينحق المسلمون بعدوهم اتسعت مساحة التقدم بينهم وبينه فتفوق

عليهم ، وأمامهم الكثير من الوقت حتى يمكنهم أن يدركوه ويتغلبوا عليه . وما قصة ليلة القدر الا صورة مصغرة لهذا الموقف الذى يفقه المسلمون ، فبعد أن منح الله أمة محمد ليلة القدر لتلحقهم بفضل عبادة وجهاد أبناء من أمة سابقة ومنهم بنو اسرائيل ، تخاصم المسلمان فأخر الله ادراك ليلة القدر فى ليلة محددة كاد الرسول أن يخبر بها أمته ، وجعلهم يجتهدون فى العشر الأواخر من رمضان ليتحملوا نتيجة خصام بعضهم مشقة وتعبا واجتهادا ليدركوا تلك الليلة المباركة فى وقت أكثر مما كان يمكن لو لم يكن بينهم ناس مختلفون مختصمون .

ولأن المسلمين لم يعوا ذلك الدرس منذ عهد الرسول وظلوا على خلافاتهم ، فقد تأخر عنهم النصر والتقدم ولن يدركوا هذا الخير الا بعد وقت قد يطول ماداموا غارقين فى خلافاتهم ، وعليهم أن يتحملوا مزيدا من الجهد والمشقة حتى يدركوا النصر والتقدم مما فاتهم ، تماما - مع اختلاف القياس - مثلما تأخرت عن المسلمين ليلة القدر فلا يصلون اليها الا بعد البحث عنها فى العشر الأواخر من رمضان ، بدلا من ليلة واحدة كان سيخبرهم بها الرسول ، لو لم يختلفوا .

علاقة رمضان بالجهاد في سبيل الله

قلما يشهد شهر كثيرا من معارك الجهاد في سبيل الله وتحقيق الفتوحات والانتصارات الإسلامية ، الكبرى ، كشهر رمضان فهل كان ذلك صدفة ساقتها الأقدار لتضيف إلى أفضال رمضان وتشریفه بأفضال أخرى جديدة غير كونه شهر القرآن الذي بدأ فيه نزول الوحي على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لينشئ أمة تسود الدنيا علما ونورا وحضارة ، وكان شهر رمضان الذي شهد بدايته تكوين الأمة الإسلامية ، أراد الله أن تعلى فيه راية الجهاد لحماية تلك الأمة التي ترفع راية الاسلام التي هي راية التوحيد ، التي هي لا إله الا الله ، والتي تلخص تاريخ الدعوات السماوية كلها منذ آدم أبو البشر إلى محمد سيد البشر ، وخاتم الرسل بدينه الذي هو خاتم الرسالات ، والذي لا دين بعده ، ولذا أوتى أتباعه المسلمون على حمايته ونشره وإعلاء كلمته ، بالجهاد في سبيل الله والذي لا يعدله عمل آخر ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل : دلني على عمل يعدل الجهاد ، فقال : لا أجد ، ثم قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك .

ولضرورة الجهاد في الأمة الإسلامية لجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، فإن الجهاد كان فرض كفاية إن

قام به بعض المسلمين سقط عن البعض الآخر ، إلا أن يدخل العدو بلدا مسلما فيتعين على كل أهلها حتى النساء أن ينخرطوا في الجهاد لدفع العدو .

وقد جعل الإسلام الجهاد شرفا لا يطاوله شرف آخر ، ومن لم ينل هذا الشرف فعليه على الأقل أن يكون قد تمنى نيته ، والا مات على شعبة من النفاق ، كما قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

وارتباط الجهاد بشيكل غام . بشهر رمضان هو ارتباط بين رقيقين ارتباط تألف وموافقة لا ارتباط تنافر أو مصادفة ، فرمضان صومه لا رياء فيه وكذلك الجهاد لا رياء فيه ، ورمضان صيامه صبر على تحمل المشقة ، وكذلك الجهاد صبر على تحمل المشقة ، ومن أجل هذا كان الصوم تدريبا على الجهاد بل أنه إحدى العوامل الحاسمة في اختيار الرسول لقادة جيوشه ، حيث يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل جماعة من أصحابه لغزو فاختلفوا ورجعوا قبل أن يغزوا ، فلما رآهم النبي غضب وقال : ذهبتم جماعة وعدتم متفرقين ، أما والله لأولين عليكم رجلا ليس بأفضلكم ، أصبركم على الجوع وأصبركم على العطش » ، اذن فالصوم والجهاد رقيقان فلا عجب أن يحفل رمضان بمثل هذه الانتصارات والفتوحات والمعارك التي حولت مجرى التاريخ .

● أول رمضان السنة الأولى للهجرة :

تكونت أول سرية في الإسلام بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل فيهم قوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » (١) .

(١) سورة البقرة . الآية ١٩٠ .

● أول رمضان ٦٦٦ هـ :

استولى الملك الظاهر على أنطاكية وأخرج منها التتار .

● العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ :

عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف والقضاء على
أسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر .

● ١١ رمضان ٨٨٠ هـ :

انتصر محمد الفاتح وأخضع التتار في شبه جزيرة القرم
لحكم العثمانيين .

● ١١ رمضان ١١٢٦ هـ :

استرد العثمانيون جزر الأرخبيل من بحر ايجه .

● ١٤ رمضان ١٢١٨ هـ :

قامت مظاهرة بدأت من داخل الجامع الأزهر ضد الاحتلال
الفرنسي .

● ١٥ رمضان ٣٥٨ هـ :

فتح جوهر الصقلي ، مصر ، بأمر المعز لدين الله الفاطمي .

● ١٦ رمضان سنة ٤ قبل الهجرة :

أعلن عمر بن الخطاب ضرورة اعلان الدعوة الاسلامية .

● ١٧ رمضان ٢ هـ :

غزوة بدر الكبرى .

رمضان الذي لا نعرفه ٨١

● ١٩ رمضان ٩٣٩ هـ :

حاصر سليمان القانوني سلطان تركيا (فيينا) عاصمة النمسا .

● ٢٢ رمضان ٢ هـ :

غزو الرسول « لبنى سليم » ردا على تأمرهم مع أعدائه في وقت المحنة والحرب .

● ٢٢ رمضان ١٢٥١ هـ :

قاد البطل عبد الرحمن الجزائري الحرب المقدسة ضد الفرنسيين .

● ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ :

معركة عين جالوت التي أوقفت تقدم المغول في الشرق الاسلامي نهائيا .

● ٢٨ رمضان ١٣٠٣ هـ :

هزم جيش المهدي ، جيش الاحتلال البريطاني واستقر المهدي في السودان .

وفي شهر رمضان أيضا حدث أعظم فتحين من الفتوحات الاسلامية هما فتح مكة الذي تحطم فيه آخر صنم من رموز الجاهلية ، ليدخل الناس في دين الله أفواجا ، حيث جاء الحق وزهق الباطل ، والفتح الثاني هو (فتح الأندلس) الذي نقل الاسلام الى أوروبا وأشع عليها بنور الحضارة الاسلامية مما مهد لأوروبا أن تضع أقدامها على عتبة عصر النهضة . واليوم انقلبت الآية فتراجع المسلمون ، وتقدم الأوروبيون ، فمتى يحدث للمسلمين فتح جديد في مجال الحضارة ليكونوا على مستوى مسئولية الدين الاسلامي الذي حملهم الله أمانته ؟

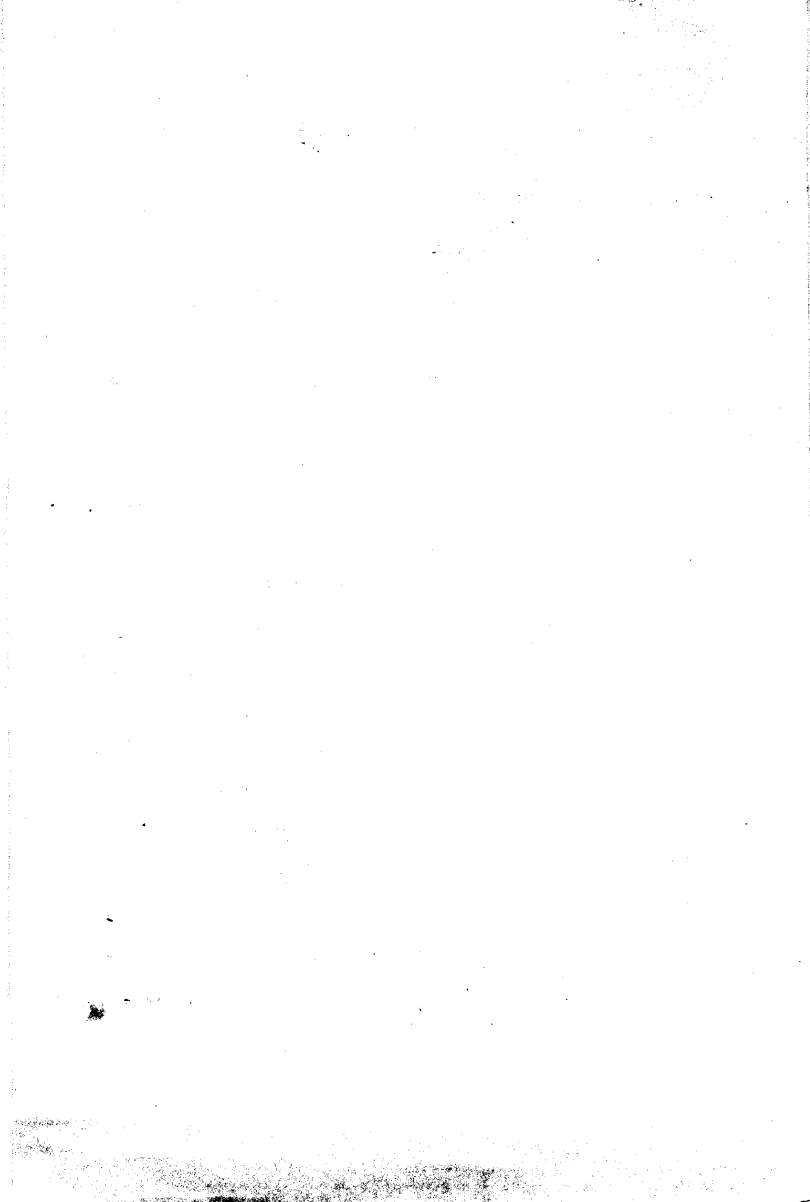
المراجع

- تفسير ابن كثير - المجلد الأول والمجلد الرابع
- رياض الصالحين - للعالم العارف بالله محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي .
- منهج المسلم - لأبي بكر جابر الجزائري .
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة - الجزء ١ - ٣٠ - المجلد الثاني .
- رمضان - هدية مجلة منبر الاسلام عدد رمضان ١٣٨٨ هـ
- دليل الصائم .٠ أحكام الصيام في الاسلام - هدية « منبر الاسلام » عدد رمضان ١٣٩٩ هـ .
- رمضان بين اللغة والتاريخ - مقال .٠ عبد الله الكبير .٠ بمجلة الوعي الاسلامي - الكويت - رمضان ١٣٩٣ هـ .
- أسرار الصيام وفضائل شهر رمضان - عبد الله الصديق .
- مؤتمر الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم - هدية منبر الاسلام صفر ١٤٠٤ هـ .
- شهر الذكريات والتاريخ - مقال د .٠ محمد عبد المنعم خفاجى .٠ مجلة التصوف الاسلامي - رمضان ١٤٠٥ هـ .

- أحداث عظيمة فى شهر كريم - مجلة التصوف الاسلامى -
رمضان ١٤٠٥ هـ .
- الصيام بين الاسلام ومختلف الشرائع - مقال د . على عبد الله
وافى - مجلة العروة الوثقى - عدد رمضان ١٤٠٢ هـ
- طرائف - مجلة العروة الوثقى - عدد رمضان ١٤٠٢ هـ .
- طرائف رمضان - محمد عبده قناوى - (شهر رمضان الذى
أنزل فيه القرآن) هدية منبر الاسلام عدد رمضان ١٣٩٤ هـ
- رمضان - محمد سعيد العريان .

فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٣
رمضان يشكونا لانفسنا	٥
رمضان فى الجاهلية والاسلام	٩
الصوم بين اديان الارض واديان السماء	١١
أنواع الصيام	١٥
تدرج الصوم فى الاسلام	٢١
الصيام فى الطب	٣١
هلال رمضان	٣٧
ثواب الافطار عندى وعندكم	٤١
من مظاهر رمضان	٤٥
فانوس رمضان	٤٥
الكنافة والقطايف	٤٧
صلاة القيام أو التراويح	٤٩
السحور والمسحراتى	٥٣
الثواب للمعتكف وغير المعتكف	٥٧
الزكاة ٠٠ على الأغنياء والفقراء !	٦٧
ولماذا ليلة القدر ؟	٧٢
علاقة رمضان بالجهاد فى سبيل الله	٧٩
المراجع	٨٣



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٣٧١٥

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٣٦٥ - ٤

